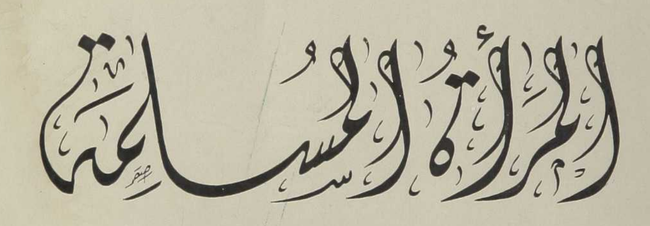
الشيخ حسن البنا



خرج أحاديثه وراجعه

محمد ناصر الدين الألباني

ومعه مجموعة رسائل إلى المرأة المسلمة لجماعة من العلماء الدكتور
عمر سليمان الأشقر والدكتور محمد الصباغ والدكتور محمد محمد
حسين والشيخ عبد الله بن زيد آل محمود والأستاذ منير محمد الغضبان.

دار الجيل

بيروت

الشيخ حسن البنّا

المرأة المسلمة

خرّج أحاديثه وراجعه
محمّد ناصر الدّين الألباني

ومعه مجموعة رسائل إلى المرأة المسلمة لجماعة من العلماء الدكتور عمر سليمان الأشقر والدكتور محمّد الصبّاغ والدكتور محمّد محمّد حسين والشيخ عبد الله بن زيد آل محمود والأستاذ منير محمّد الغضبان.

دار الجيل
بيروت

الطبعة الثانية
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.



تقـديـم :

فى حياتنا « بلاليع » تذهب فيها ثروتنا هدراً ، فيما لا ضرورة لوجوده ، ولاضرر فى عدمه ، فى الأعراس والولادات والمآتم والأعياد ، وقد طالما كتب الكُتّاب ، ونبّه الخطباء ، وطالما كتب هذا العاجز (اعنى أنا) فى الرسالة وفى الكلمة الصغيرة التى كان ينشرها فى « النصر » وفى « الأيام » ولم ينقص الناس استحسان ما ندعوا إليه ، وإقناعهم بصحته ، ولكن كان ينقصهم رجل جرىء يشرع بكسر هذه القيود ، وتعدى هذه الحدود ، والخروج من سجن العادات الى حرية العقل .

وقد وجد هذا الرجل اليوم .

هذا الرجل . . . عرفته تلميذاً وعرفته صديقاً ، فما رأيت فى شباب الشام من يفضله فى حسن سيرته ، وطُهر سريرته ، واتباعه أمر الشرع ونهيه ، فهو مسلم صادق الإسلام ، فى ظاهره وفى باطنه ، وفى صحبه .

هذا الرجل الذى قال بعمله مقالاً أبلغ من كل ما قلنا وقال الكُتّاب والخطباء بألسنتهم وأقلامهم ، إذ اقتصر فى زواجه الميمون على ما أمر به الشرع . من إعلان النكاح ، والاحتفال به ، وترك ما جاوز ذلك من وجوه الترف والسرف والتبذير ، وطبع بما وفره هو وزوجه هذه المقالة القيمة للإمام الشهيد مجدّد الإسلام فى هذا العصر . صديقنا الشيخ حسن البنا رضى الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مثواه .

فإذا كان الزواج خيراً . ففى زواج هذا الأَخ ثلاثة خيرات لاخير واحد ، أَولها أَنه سيكون إن شاء الله زوجاً مثالياً كما يريد الإسلام أن يكون الأَزواج ، وأَنه سيكون أَباً كاملاً ، وأَنه سَنَّ هذه السنة الحسنة التى سيكون له أَجرها وأَجر من عمل بها إلى يوم القيامة .

وإذا كان الناس يقدمون فى العرس حلوى للضرس ، فالأستاذ « البنا » قدم مع حلوى الضرس حلوى للروح وللنفس ، هى هذه المقالة .

ولا أريد أن أجعل المقدمة أطول من البحث ، والدهليز أوسع من الدار ، فحسبكم هذه الكلمة لتعلموا لم تقدم إليكم هذه الرسالة ، ولكم الشكر إن قرأتموها وعملتم بها ، وللأستاذ الشكر على أن اختارها وطبعها ، وأسأل الله أن يجعله زواج السعادة والصلاح .

دمشق . ذو الحجة سنة ١٣٧١هـ

على الطنطاوى

بسم الله الرحمن الرحيم

كتب إلى كاتب فاضل يطلب أن أكتب عن المرأة وموقفها من الرجل وموقف الرجل منها ، ورأى الإسلام فى ذلك ، وحث الناس على التمسك به والنزول على حكمه .

لست أجهل أهمية الكتابه فى موضوع كهذا ، ولا أهمية انتظام شأن المرأة في الأمة ، فالمرأة نصف الشعب ، بل هى النصف الذى يؤثر فى حياته أبلغ التأثير ، لأنها المدرسة الأولى التى تكوّن الأجيال وتصوغ الناشئة ، وعلى الصورة التى يتلقاها الطفل من أمه يتوقف مصير الشعب واتجاه الأمة ، وهى بعد ذلك المؤثر الأول فى حياة الشاب والرجل على السواء .

لست أجهل كل هذا ، ولم يهمله الإسلام الحنيف وهو الذى جاء نوراً وهدى للناس يُنَظم لهم شئون الحياة على أدق النظم وأفضل القواعد والنواميس . . . أجل لم يهمل الإسلام كل هذا ، ولم يدع الناس يهيمون فيه فى كل واد بل بَيّن لهم الأمر بياناً لا يدع زيادة لمستزيد .

وليس المهم فى الحقيقة ان نعرف رأى الإسلام فى المرأة والرجل ، وعلاقتهما وواجب كل منهما نحو الآخر ، فذلك أمر يكاد يكون معروفاً لكل الناس . ولكن المهم أن نسأل أنفسنا هل نحن مستعدون للنزول على حكم الإسلام ؟

الواقع ان هذه البلاد وغيرها من البلاد الاسلامية تتغشاها موجة ثائرة قاسية من حب التقليد الاوربى والانغماس فيه الى الاذقان . ولا يكفى بعض الناس ان ينغمسوا هذا الانغماس فى التقليد ، بل

هم يحاولون ان يخدعوا انفسهم بان يديروا احكام الاسلام وفق هذه الاهواء الغربية والنظم الاوربية ويستغلوا سماحة هذا الدين ومرونة احكامه استغلالا سيئا يخرجها عن صورتها الاسلامية اخراجا كاملا ، ويجعلها نظما اخرى لاتتصل به بحال من الاحوال ، ويهملون كل الإهمال روح التشريع الاسلامى ، وكثيرا من النصوص التى لا تتفق مع أهوائهم .

هذا خطر مضاعف فى الحقيقة ، فهم لم يكفهم ان يخالفوا ، حتى جاءوا يتلمسون المخارج القانونية لهذه المخالفة ، ويصبغونها بصبغة الحل والجواز حتى لايتوبوا منها ولا يقلعوا عنها يوما من الايام .

فالمهم الآن ان ننظر الى الاحكام الاسلامية نظرا خاليا من الهوى ، وان نعد انفسنا ونهيئها لقبول اوامر الله تعالى ونواهيه ، وبخاصة فى هذا الامر الذى يعتبر اساسا فى نهضتنا الحاضرة .

وعلى هذا الاساس لابأس بأن نذكّر الناس بما عرفوا ، وبما يجب ان يعرفوا من احكام الاسلام فى هذه الناحية .

أولاً : الإسلام يرفع قيمة المرأة ويجعلها شريكة الرجل فى الحقوق والواجبات :

وهذه قضية مفروغ منها تقريباً ، فالإسلام قد أعلى منزلة المرأة ورفع قيمتها واعتبرها أختاً للرجل[1] وشريكة له فى حياته ، هى منه وهو منها « بعضكم من بعض » وقد اعترف الاسلام للمرأة بحقوقها الشخصية كاملة وبحقوقها المدنية كاملة كذلك وبحقوقها السياسية كاملة أيضا ، وعاملها على انها انسان كامل الانسانية له حق وعليه واجب ، يشكر اذا ادى واجباته ويجب ان تصل اليه حقوقه . والقرآن والأحاديث فياضة بالنصوص التى تؤكد هذا المعنى وتوضحه .

ثانياً : التفريق بين الرجل والمرأة فى الحقوق إنما جاء تبعاً للفوارق الطبيعية : التى لا مناص منها بين الرجل والمرأة ، وتبعاً لاختلاف المهمة التى يقوم بها كل منهما ، وصيانة للحقوق الممنوحة لكليهما :

وقد يقال إن الإسلام فرق بين الرجل والمرأة فى كثير من الظروف والأحوال ولم يسو بينهما تسوية كاملة ، وذلك صحيح ، ولكنه من جانب آخر يجب ان يلاحظ أنه ان انتقص من حق المرأة شيئاً من ناحية فانه قد عوضها خيراً منه فى ناحية اخرى ، أو يكون هذا الانتقاص لفائدتها وخيرها قبل ان يكون لشىء آخر . وهل يستطيع احد كائناً من كان ان يدعى ان تكوين المرأة الجسمانى والروحى كتكوين الرجل سواء بسواء . . وهل احد كائنا من كان ان يدعى ان الدور الذى يجب ان تقوم به المرأة فى الحياة هو الدور الذى يجب ان يقوم به الرجل ما دمنا نؤمن بأن هناك أمومة وأبوة . .

اعتقد ان التكوينين مختلفان وان المهمتين مختلفتان كذلك ، وان هذا

---

(١) « واعتبرها أختاً للرجل » قلت : وهو قوله (ﷺ) : « إنما النساء شقائق الرجال » أخرجه الدارمى وأبو عوانة فى صحيحه من حديث أنس وصححه ابن القطان .

الاختلاف لابد ان يستتبع اختلافا فى نظم الحياة المتصلة بكل منهما ، وهذا هو سر ما جاء فى الاسلام من فوارق بين المرأة والرجل فى الحقوق والواجبات .

ثالثاً : بين المرأة والرجل تجاذب فطرى قوى هو الأساس الأول للعلاقة بينهما ، وان الغاية منه قبل ان تكون المتعة وما إليها ، التعاون على حفظ النوع واحتمال متاعب الحياة :

وقد اشار الاسلام الى هذا الميل النفسانى وزكاه وصرفه عن المعنى الحيوانى اجمل الصرف الى معنى روحى يعظم غايته ويوضح المقصود منه ويسمو به عن صورة الاستمتاع البحت الى صورة التعاون التام ، ولنسمع قول الله تبارك وتعالى : ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة . (الروم : ٢١)

* * *

هذه هى الأصول التى راعاها الإسلام وقررها فى نظرته الى المراة ، وعلى اساسها جاء تشريعه الحكيم كافلا للتعاون التام بين الجنسين بحيث يستفيد كل منهما من الآخر ويعينه على شئون الحياة .

والكلام عن المرأة فى المجتمع فى نظر الإسلام يتلخص فى هذه النقط :

أولا : يرى الاسلام وجوب تهذيب خلق المرأة وتربيتها على الفضائل والكمالات النفسانية منذ النشأة ، ويحث الآباء واولياء امور الفتيات على هذا ، ويعدهم عليه الثواب الجزيل من الله ويتوعدهم بالعقوبة ان قصروا . وفى الآيات الكريمة : « يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون » . (التحريم : ٦) .

وفى الحديث الصحيح « كلكم راع ومسئول عن رعيته : الإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى اهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة

راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته ، وكلكم راع ومسئول عن رعيته » أخرجه الشيخان من حديث عبدالله بن عمر ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من مسلم له ابنتان فيحسن اليهما ماصحبتاه او صحبهما الا ادخلتاه الجنة » رواه ابن ماجه بإسناد صحيح[١] وابن حبان فى صحيحه .

وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان له ثلاث بنات او ثلاث اخوات او بنتان او اختان فاحسن صحبتهن واتقى الله فيهن فله الجنة » رواه الترمذى واللفظ له وابو داود[٢] إلا انه قال (فأدبهن واحسن اليهن وزوجهن فله الجنة) .

ومن حسن التأديب ان يعلمهن ما لاغنى لهن عنه من لوازم مهمتهن كالقراءة والكتابة[٣] والحساب والدين وتاريخ السلف الصالح رجالا

---

(١) « بإسناد صحيح » قلت : تبع المؤلف فى هذا المنذرى رحمه الله فى الترغيب ، ونحن نرى أن هذا من أوهام المنذرى ، وأن الحديث إسناده ضعيف لأن مداره على شرحبيل وهو ابن سعد وهو ضعيف لأمرين : الأول أنه متهم ، والآخر أنه كان قد اختلط ووقعت فى أحاديثه النكارة وبكل الأمرين وصفه طائفة من العلماء ، وشرح ذلك لا يتسع له هذا العليق ، وقد بينته فى كتابى « معجم الحديث » وحسبك من ذلك أن الحاكم لما صحح الحديث تعقبه الذهبى بقوله : « قلت : شرحبيل واه » .

(٢) « رواه الترمذى واللفظ له وأبو داود » قلت : قد أشار الترمذى ثم المنذرى إلى أن فى سنده اختلافاً واضطراباً وقد بينته فى المعجم وذكرت فيه أن للحديث علة أخرى وهى جهالة حال سعيد بن عبد الرحمن بن مكمل الزهرى الذى يدور الحديث عليه . ولهذا كله فالحديث ضعيف كالذى قبله . ويغنى عنهما قوله صلى الله عليه وسلم : « من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو وضم أصابعه » رواه مسلم وغيره عن أنس .

(٣) « كالقراءة والكتابة » قلت : ولذلك كن نساء النبى (ﷺ) يتعلمن القراءة والكتابة فى بيته (ﷺ) من بعض المعلمات كما قالت الشفاء بنت عبد الله (رضىَ الله عنها) : « دخل على رسول الله (ﷺ) وأنا عند حفصة ، فقال : ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتيها الكتابة » أخرجه أبو داود وأحمد والحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين » ووافقة الذهبى وهو كما قالا .

وأما الحديث الذى تلوكه بعض الألسنة : « لاتسكنوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن المغزل وسورة النور » فهو حديث باطل موضوع ، أخرجه الخطيب بإسناد فيه محمد بن إبراهيم أبو عبد الله الشامى ، قال الدارقطنى « كذاب » ، وقد سرقه منه كذاب آخر هو عبد الوهاب بن الضحاك ، أخرجه من طريقه الحاكم فقال (الذهبى فى « تلخيصه » ٢ / ٣٩٦) : « وهو موضوع وآفته عبد الوهاب ، قال أبو حاتم كذاب » هذا خلاصة ماأوردته فى « المعجم » ، وقد أغتر بهذا الحديث جماعة من المتقدمين منهم أبو العلاء المعرى فى شعره الآتى فى

ونساء ، وتدبير المنزل والشئون الصحية ومبادىء التربية وسياسة الأطفال وكل ما تحتاج اليه الأم فى تنظيم بيتها ورعاية أطفالها ، وفى حديث البخارى[٢] رضى الله عنه : « نعم النساء نساء الانصار لم يمنعهن الحياء ان يتفقهن فى الدين » وكان كثير من نساء السلف على جانب عظيم من العلم والفضل والفقه فى دين الله تبارك وتعالى .

أما المقالات فى غير ذلك من العلوم التى لاحاجة للمرأة بها فعبث لاطائل تحته ، فليست المرأة فى حاجة اليه وخير لها ان تصرف وقتها فى النافع المفيد .

ليست المرأة فى حاجة الى التبحر فى اللغات المختلفة .

وليست فى حاجة الى الدراسات الفنية الخاصة ، فستعلم عن قريب ان المرأة للمنزل اولاً واخيراً .

وليست المرأة فى حاجة الى التبحر فى دراسة الحقوق والقوانين ، وحسبها ان تعلم من ذلك ما يحتاج اليه عامة الناس .

كان أبو العلاء المعرى يوصى بالنساء فيقول :

الرسالة . وليس هذا منه بغريب ، ولكن الغريب أن يغتر به بعض المشايخ المتدينين ، ويوردوه فى كتبهم محتجين به على منع النساء من تعلم القراءة والكتابة مطلقاً ، مع أن هذا أمر مقطوع ببطلانه وحديث الشفاء هذا مما يدل على ذلك . فمثل هذا الحديث الموضوع يمثل للعاقل مبلغ أثر الأحاديث المكذوبة فى توجيه الثقافة الإسلامية توجيهاً خاطئاً ، ألا فاحذروا أيها المسلمون أمثال هذا الحديث ولا تحدثوا عن رسول الله (ﷺ) إلا بعلم كما أمركم نبيكم فى قوله : « اتقوا الحديث عنى إلا ماعلمتم » صححه المناوى فى الفيض .

(٢) « وفى حديث البخارى . . » قلت : هذا التعبير عند الأطلاق يفيد أمرين اثنين : الأول : كون الحديث مرفوعاً إلى النبى (ﷺ) والآخر : كونه عند البخارى موصولاً باسناده إلى النبى (ﷺ) . وكلا الأمرين منفيان ههنا ، ذلك لأن البخارى إنما رواه فى « كتاب العلم » من صحيحه معلقاً بدون إسناد ، وموقوفاً على عائشة فقال : « وقالت عائشة : نعم النساء . . » نعم وصله مسلم وغيره عن عائشة موقوفا عليها بسند حسن كما بينته فى صحيح سنن أبى داود » (رقم ٣٣٣) فكان من الواجب تقييد تلك العبارة : بقوله : « معلقاً موصولا » . وكثير ما يتساهل بعض العلماء مثل هذا التساهل فيطلقون العزو إلى البخارى ، والرواية عنده معلقة غير موصولة ، ومن المفيد أن أنبه هنا على أن صاحب كتاب (التاج الجامع للأصول) يكثر من هذا وقد تبين لى ذلك حين انصرفت همتى منذ بضع سنين إلى تقصيه بعد أن بدت لى عفواً بعض الخطيات فيه ، فنقدت الجزء الأول منه وهو عندى . وأنت إذا تذكرت الفرق بين الأحاديث الموصولة فى البخارى والمعلقة منها فيه يظهر لك خطر هذا التساهل الذى يشبه التدليس فى الإسناد ، ذلك لأن القسم الأول صحيح كله ، بخلاف القسم الآخر ففيه كثير من الضعاف . فإذا كان الحديث المعلق منها ، فعزاه أحد إلى البخارى مطلقاً اوهم أن الحديث صحيح موصول لاسيما إذا كان من عزاه غير معروف بهذا التساهل فأشبه المدلس تماماً ولا يخفى ضرره . فليتنبه لهذا .

علموهن الغزل والنسج والردن[1] وخلوا كتابة وقراءة
فصلاة الفتاة بالحمد والاخلاص تجزىء عن يونس وبراءة

ونحن لا نريد ان نقف عند هذا الحد ، ولا نريد ما يريد اولئك المغالون المفرطون فى تحميل المرأة ما لا حاجة لها به من انواع الدراسات ، ولكنا نقول : علموا المرأة ما هى فى حاجة اليه بحكم مهمتها ،ووظيفتها التى خلقها الله لها : تدبير المنزل ورعاية الطفل .

ثانياً : التفريق بين المرأة وبين الرجل :

يرى الاسلام فى الاختلاط بين المرأة والرجل خطراً محققا ، فهو يباعد بينهما الا بالزواج ، ولهذا فإن المجتمع الاسلامى مجتمع انفرادى لا مجتمع مشترك .

سيقول دعاة الاختلاط إن فى ذلك حرماناً للجنسين من لذة الاجتماع وحلاوة الانس التى يجدها كل منهما فى سكونه للآخر ، والتى توجد شعوراً يستتبع كثيرا من الآداب الاجتماعية من الرقة وحسن المعاشرة ولطف الحديث ودماثة الطباع . . الخ ، وسيقولون ان هذه المباعدة بين الجنسين ستجعل كلا منهما مشوقا ابدا الى الاخر ، ولكن الاتصال بينهما يقلل من التفكير فى هذا الشأن ويجعله امرا عاديا فى النفوس (واحب شيء الى الانسان ما منعا) وما ملكته اليد زهدته النفس .

كذا يقولون ويفتتن بقولهم كثير من الشبان ، ولاسيما وهى فكرة توافق اهواء النفوس ، وتساير شهواتها ، ونحن نقول لهؤلاء : مع أننا لانسلم بما ذكرتم فى الامر الاول ، نقول لكم ان مايعقب لذة الاجتماع وحلاوة الانس مع ضياع الاعراض وخبث الطوايا وفساد النفوس وتهدم البيوت ، وشقاء الأسر ، وبلاء الجريمة ، وما يستلزمه هذا الاختلاط

---
(١) حياكة الملابس .

من طراوة فى الاخلاق ولين فى الرجولة لايقف عند حد الرقة ، بل هو يتجاوز ذلك الى حد الخنوثة والرخاوة ، وكل ذلك ملموس لايمارى فيه الا مكابر .

كل هذه الاثار السيئة التى تترتب على الاختلاط تربو الف مرة على ماينتظر منه من فوائد ، واذا تعارضت المصلحة والمفسدة فدرء المفسدة اولى ، ولا سيما اذا كانت المصلحة لا تعد شيئا بجانب هذا الفساد .

اما الامر الثانى فغير صحيح ، وانما يزيد الاختلاط قوة الميل ، وقديما قيل : ان الطعام يقوى شهوة النهم ، والرجل يعيش مع امراته دهرا ، ويجد الميل اليها يتجدد فى نفسه ، فما باله لا تكون صلته بها مذهبة لميله اليها ، والمرأة التى تخالط الرجال تتفنن فى ابداء ضروب زينتها ، ولا يرضها الا ان تثير فى نفوسهم الاعجاب بها ، وهذا ايضا اثر اقتصادى من اسوأ الآثار التى يعقبها الاختلاط ، وهو الاسراف فى الزينة والتبرج المؤدى الى الافلاس والخراب والفقر .

لهذا نحن نصرح بأن المجتمع الاسلامى مجتمع فردى لا زوجى ، وان للرجال مجتمعاتهم وللنساء مجتمعاتهن ، ولقد اباح الإسلام للمرأة شهود العيد وحضور الجماعة والخروج فى القتال عند الضرورة الماسة ، ولكنه وقف عند هذا الحد ، واشترط له شروطاً شديدة : من البعد عن كل مظاهر الزينة ، ومن ستر الجسم ، ومن إحاطة الثياب به ، فلا تصف ولا تشف ، ومن عدم الخلوة باجنبى مهما تكن الظروف وهكذا[1] .

---

(١) « هكذا » قلت : ومن ذلك جعل الشارع الحكيم صفوف النساء وراء الرجال بل الأطفال فى الصلاة حتى قال (ﷺ) . « خير صفوف الرجال أولها ، وشرها آخرها ، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها » هذا كله فى حالة العبادة والصلاة التى تكون فيها المسلم والمسلمة أبعد مايكون عن وسوسة الشيطان وإغرائه ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل وضع الوسائل للمحافظة على حالة التباعد وعدم الاختلاط بين الجنسين عند الخروج من المسجد والدخول إليه ، فمن ذلك أنه أفرد فى المسجد باباً خاصاً للنساء يدخلن ويخرجن منه لايخالطهن ولايشاركهن فيه الرجال ، فقد روى أبو داود بإسناد صحيح على شرط الشيخين ـ كما بينته فى « صحيح سنن أبى داود » (رقم ٤٨٣) ـ عن نافع عن ابن عمر قال . قال رسول الله (ﷺ) . لو تركنا هذا الباب للنساء . قال نافع فلم يدخل منه ابن عمر حتى مات . وحتى اليوم يوجد فى المسجد النبوى باب يدعى « باب النساء » فلعله هذا ، ولكنه فى الواقع هو الآن اسم على غير مسمى !

إن من اكبر الكبائر فى الاسلام انِ يخلو الرجل بامرأة ليست بذات محرم له ، ولقد اخذ الاسلام السبيل على الجنسين فى هذا الأختلاط اخذا قويا محكما .

فالستر فى الملابس أدب من آدابه .

وتحريم الخلوة بالاجنبى حكم من أحكامه .

وغض الطرف واجب من واجباته .

والعكوف فى المنازل للمرأة حتى فى الصلاة شعيرة من شعائره .

والبعد عن الاغراء بالقول والاشارة وكل مظاهر الزينة وبخاصة عند الخروج حد من حدوده .

كل ذلك انما يراد به ان يسلم الرجل من فتنة المرأة وهى احب الفتن الى نفسه ، وان تسلم المرأة من فتنة الرجل وهى اقرب الفتن الى قلبها ، والآيات الكريمة والأحاديث المطهرة تنطق بذلك .

يقول الله تبارك وتعالى فى سورة النور : « قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ، إن الله خبير بما يصنعون ، وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى اخواتهن او نسائهن او ما ملكت ايمانهن او التابعين غير اولى الاربة من الرجال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ، وتوبوا الى الله جميعاً ايها المؤمنون لعلكم تفلحون » .

(النور : ٣٠ - ٣١)

ومن ذلك تشريعه للرجال إماما ومؤتمين أن لايخرجوا فور التسليم من الصلاة إذا كان فى المسجد نساء حتى يخرجن وينصرفن إلى دورهن لكى لايحصل الأختلاط بين الجنسين ولو بدون قصد إذا ماخرجوا جميعاً . فروى البخارى فى « صحيحه » عن أم سلمة (رضى الله عنها) قالت « كان رسول الله (ﷺ) إذا سلم قام النساء حين يقضى تسليمه ، ومكث يسير قبل أن يقوم » وفى رواية له « فينصرف النساء فيدخلن بيوتهن من قبل أن ينصرف رسول الله (ﷺ) ورواه النسائى بلفظ : « ونبت رسول الله (ﷺ) ومن صلى من الرجال ما شاء الله ، فاذا قام رسول الله (ﷺ) قام الرجال » زاد البخارى : « قال ابن شهاب : فأرى - والله أعلم - إن مكثه لكى ينفذ النساء قبل أن يدركه من انصرف من القوم ».

وفى سورة الاحزاب : « يا ايها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ، ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين » .

(الأحزاب : ٥٩) .

... إلى آيات كثيرة .

وعن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى عن ربه عز وجل : « النظرة سهم مسموم من سهام إبليس من تركها مخافتى أبدلته ايمانا يجد حلاوته فى قلبه » . رواه الطبرانى والحاكم من حديث حذيفة[١] .

وعن أبى أمامه رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لتغضن ابصاركم ولتحفظن فروجكم ، او ليكسفن الله وجوهكم » . رواه الطبرانى[٢] .

وعن ابى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « ما من صباح الا وملكان يناديان : ويل للرجال من النساء ، وويل للنساء من الرجال » . رواه ابن ماجه والحاكم[٣] .

وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إياكم والدخول على النساء ! فقال رجل من الانصار افرأيت الحم ؟ قال الحم الموت » . رواه البخارى ومسلم والترمذي ، والمراد بدخول الاحماء على المرأة الخلوة بها . كما قال رسول الله صلى

---

(١) حديث حذيفة قلت : وتمام كلام المنذرى فى « الترغيب » « خرجاه من رواية عبد الرحمن بن إسحاق الواسطى وهو واه » .

(٢) « رواه الطبرانى » قلت : وأشار المنذرى إلى تضعيفه وبين سببه الهيثمى فقال فى « المجمع » : « وفيه على بن يزيد الألهانى وهو متروك » فالحديث ضعيف جداً .

(٣) « رواه ابن ماجة والحاكم » قلت : وقال الحاكم عقب تخريجه : « تفرد به خارجة بن مصعب » .

فقال الذهبى فى (تلخيصه) قلت : « خارجة ضعيف » وقال الحافظ فى (التقريب) هو متروك . وكان يدلس عن الكذابين » وقد دلس هنا فلم يصرح بالتحديث فالحديث ضعيف جدا

الله عليه وسلم « لايَخْلُوَنّ رجل بامرأة الا كان ثالثهما الشيطان »[٤]

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لايخلون احدكم بامرأة إلا مع ذى محرم » رواه البخارى ومسلم .

وعن معقل بن يسار رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لأن يطعن فى رأس احدكم بمخيط من حديد خير له من ان يمس امرأة لاتحل له » . رواه الطبرانى والبيهقى ورجال الطبرانى ثقاة من رجال الصحيح كذا قال الحافظ المنذرى .

وروى عن أبى امامة[١] رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إياك والخلوة بالنساء والذى نفسى بيده ما خلا رجل بامرأة الا دخل الشيطان بينهما ، ولان يزحم رجل خنزيراً متلطخا بطين او حمأة خير له من ان يزحم منكبيه منكب امرأة لا تحل له » رواه الطبرانى .

وعن ابى موسى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « كل عين زانية والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهى كذا » وكذا يعنى : زانية . رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح ، ورواه النسائى وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما ، ولفظهم : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهى زانية وكل عين زانية »[٢] أى كل عين نظرت اليها نظرة إعجاب واستحسان .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « لعن رسول الله صلى الله

---

(٤) (ثالثهما الشيطان) قلت : علقه الترمذى ووصله الحاكم والبيهقى والطيالسى وأحمد فى مسنديهما من حديث عمر بن الخطاب نحوه وصححه الحاكم على شرط الشيخين ووافقه الذهبى وهو كما قالا وله فى المسندين طريق أخرى عن عمر وهو صحيح أيضاً .

(١) « روى عن أبى أمامة » فيه إشارة إلى أن الحديث ضعيف ، وهو كذلك ، بل هو ضعيف جداً ، وقد بين السبب الهيثمى فقال : « وفيه على بن يزيد الألهانى وهو ضعيف جداً » .

(٢) حديث حسن - صحيح الجامع : ٢٦٩٨ . « الناشر »

عليه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال » .

رواه البخارى وابو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة والطبرانى وعنه : أن امرأة مرت على رسول الله صلى الله عليه وسلم متقلدة قوساً[1] فقال : « لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال ، والمتشبهين من الرجال بالنساء » .

وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال : « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يلبس لبسة المرأة ، والمرأة تلبس لبسة الرجل » . رواه ابو داود والنسائى وابن ماجة وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال : « لعن الله الواشمات والمتوشمات والمتنمصات[2] والمتفلجات[3] للحسن المغيرات خلق الله ، فقالت له امرأة فى ذلك ، فقال : ومالى لا ألعن من لعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو فى كتاب الله . قال الله تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » رواه البخارى ومسلم وابو داود والترمذى وابن ماجة والنسائى .

وعن عائشة رضى الله عنها ان جارية من الانصار تزوجت ، وانها مرضت فتمعط[4] شعرها ، فأرادوا ان يصلوها ، فسألوا النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « لعن الله الواصلة والمستوصلة » وفى رواية : « ان امرأة من الانصار زوجت ابنتها فتمعط شعر رأسها ، فجاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فذكرت ذلك له وقالت : ان زوجها أمرني ان

---

(١) « متقلدة قوساً » قلت : أصل الحديث لا شك فى صحته لكن رواية الطبرانى هذه بذكر سبب الحديث فى ثبوتها نظرا لأنها من روايته عن شيخه على بن سعيد الرازى وهو لين كما قال الهيثمى .

(٢) المتنمصات : الناتفات شعورهن للزينة

(٣) المتفلجات : الباردات أسنانهن للحسن .

(٤) تمعط شعرها : سقط .

أصل شعرها ، فقال لا ، إنه قد لعن الموصولات » رواه البخارى ومسلم .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الاخر ان تسافر سفرا يكون ثلاثة ايام فصاعدا الا ومعها ابوها او اخوها او زوجها او ابنها او ذو محرم منها » . رواه البخارى ومسلم وابو داود والترمذى وابن ماجة . وفى رواية للبخارى ومسلم : « لاتسافر المرأة يومين من الدهر الا ومعها ذو محرم منها أو زوجها » .

وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صنفان من اهل النار لم ارهما ؛ : قوم معهم سياط كأذناب البقر ، يضربون بها الناس ؛ ونساء كاسيات عاريات ، مميلات مائلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لايدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وان ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا » . رواه مسلم وغيره .

وعن عائشة رضى الله عنها ان اسماء بنت ابى بكر دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فاعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : ياأسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصح ان يرى منها الا هذا وهذا ، وأشار الى وجهه وكفيه » . رواه ابو دواد وقال هذا مرسل(١) ، وخالد بن دريك لم يدرك عائشة .

وعن ام حميد امرأة ابى حميد الساعدى رضى الله عنهما انها جاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله : « إنى احب الصلاة معك » قال : « قد علمت انك تحبين الصلاة معى ، وصلاتك فى بيتك خير من صلاتك فى حجرتك ، وصلاتك فى حجرتك خير من صلاتك فى دارك وصلاتك فى دارك خير من صلاتك فى مسجد قومك ، وصلاتك فى مسجد قومك خير من صلاتك فى مسجدى » فأمرت فبنى

---

(١) « هذا مرسل » : قلت : لكن الحديث له شاهد يتقوى به ، وقد خرجته فى رسالتى : « حجاب المرأة المسلمة فى الكتاب والسنة المطهرة » .

لها مسجد فى اقصى شيء من بيتها واظلمه ، وكانت تصلى فيه حتى لقيت الله عز وجل . رواه أحمد وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما[١] .

وليس بعد هذا البيان بيان ، ومنه يعلم ان ما نحن عليه ليس من الاسلام فى شيء ؛ فهذا الاختلاط الفاشى بيننا فى المدارس والمعاهد والمجامع والمحافل العامة ، وهذا الخروج الى الملاهى والمطاعم والحدائق ، وهذا التبذل والتبرج الذى وصل الى حد التهتك والخلاعة ، كل هذه بضاعة اجنبية لاتمت الى الاسلام بأدنى صلة ، ولقد كان لها فى حياتنا الاجتماعية اسوأ آثار .

يقول كثير من الناس : إن الاسلام لم يحرم على المرأة مزاولة الاعمال العامة وليس هناك من النصوص ما يفيد هذا ، فأتونى بنص يحرم ذلك ، ومثل هؤلاء مثل من يقول : إن ضرب الوالدين جائز ، لان النهى عنه فى الآية ان يقال لهما : « أُف » ولا نص على الضرب .

إن الإسلام يحرم على المرأة ان تكشف عن بدنها[١] وأن تخلو بغيرها وان تخالط سواها ، ويحبب اليها الصلاة فى بيتها ، ويعتبر النظرة سهماً من سهام ابليس ، وينكر عليها ان تحمل قوسا متشبهة فى ذلك بالرجل ، أفيقال بعد هذا ان الاسلام لاينص على حرمة المرأة للاعمال العامة .

---

(١) « فى صحيحهما » قلت : فى سنده من لم تثبت عدالته وبالغ ابن حزم فحكم على الحديث بالوضع وليس كذلك فان للحديث طريقاً أخرى وشواهد كثيرة تكلمت عليها فى « التعليق الرغيب » فهو على أقل الدرجات حسن لغيره .

* بالنظر إلى أدلة الكتاب الكريم والسنة الصحيحة فى مسألة الحجاب والسفور وبالنظر إلى فتاوى كثير من العلماء والمحققين المعاصرين ، فإن فيما ذهب إليه فضيلة الشيخ الألبانى - حفظه الله - من جواز السفور ، نظراً :

فإن الأدلة تؤيد القول بوجوب النقاب كما هو ظاهر كلام فضيلة الأستاذ / حسن البنا رحمه الله وأنزله منازل الشهداء ، وصريح كلام غيره من العلماء .

وتتلخص فيما يلى :

أولا : أدلة القرآن :

(١) قوله تعالى : « يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفور رحيما » فقد اتفقت كلمة المفسرين من جميع المذاهب على أن المراد بالإدناء تغطية كل البدن ، إلا ما لا بد منه لرؤية الطريق كالعين الواحدة « وهو قول ابن مسعود وابن عباس وعبيدة السلمانى وغيرهم ، وفى الآية قرينة قوية تؤيد هذا التفسير وتبطل ما عداه وهى قوله تعالى « قل لأزواجك » فإن وجوب احتجاب أزواجه ﷺ وسترهن وجوههن لا نزاع فيه بين المسلمين فذكر الأزواج مع البنات ونساء المؤمنين يدل على وجوب ستر الوجوه بإدناء الجلابيب كما ترى .

ومن هنا تعلم أن المراد بقوله تعالى « ذلك أدنى أن يعرفن » أى يعرفن بالصفة لا بالشخوص لاتفاق المسلمين على أن أزواج النبى ﷺ كن يسترن وجوههن ـ والمقصود بالصفة أنهن حرائر عفائف لأن إخفاء المرأة كل بدنها عن الأجانب قرينة على أنها عفيفة محصنة (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) فلا يتعرض لهن المنافقون كما كانوا يفعلون مع الإماء ـ وقد صحت الآثار عن عمر رضى الله عنه فى أمر الحرائر بالإنتقاب ومنع الإماء من ذلك كما صححها الشيخ الألبانى ومن قبله الإمام ابن حزم رحمه الله .

تنبيه :

يرى فضيلة الشيخ الألبانى وجوب أن تجمع المرأة بين الخمار والجلباب إذا خرجت وقد وافق فى ذلك ابن حجر والعينى وغيرهما .

قال ابن حجر معلقاً على حديث أم عطية فى أمره ﷺ بخروج النساء مجلببات لصلاة العيد : (وفيه إمتناع خروج المرأة بغير جلباب) أهـ .

والجلباب : ثوب واحد يستر به جميع البدن وهو الرداء أو الملاءة .

٢ ـ قوله تعالى « وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن » والآية وإن كانت نزلت فى حق أمهات المؤمنين ولكنها تشمل بعمومها سائر المسلمات لأنهن قدوة لهن ، ولأن خطاب الواحد يعم حكمه جميع المكلفين بجامع الاشتراك فى علة التكليف كما هو مقرر فى الأصول .

وإذا نظرنا إلى علة الحكم (ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن) علمنا أن من بعدهم أولى فيعم الحكم بالقياس الجلى أو قياس الأولى سائر المؤمنات بعدهن .

٣ ـ قوله تعالى (وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) قال أبو حيان : « الذى كانت تكشفه النساء فى الجاهلية هو الوجه » ، وهذه الآية دليل على أعلى درجات الحجاب وهو الحجاب بالجدر .

٤ ـ قوله تعالى « والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم » .

والمقصود وضع الجلابيب واستبقاء الدرع والخمار كما صح عن ابن مسعود فدل على أن سواهن من الشابات واللائى يرجون النكاح ليس لهن كشف وجوههن بحضرة الأجانب .

٥ ـ الصحيح فى تفسير قوله تعالى : « ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها » أنه الثياب كما قال ابن مسعود ولم يصح ما يعارضه كما هو محكى عن ابن عباس ولا الحديث المرسل عن عائشة رضى الله عنها ـ وإذا صح فهو محمول على ما قبل نزول الحجاب جمعاً بين الأدلة .

ثانياً : أدلة السنة :

١ ـ قوله ﷺ : لا تنتقب المرأة المحرمة ولا تلبس القفازين « رواه البخارى » وذلك يقتضى أن غير المحرمة تستر وجهها ويديها .

٢ ـ وعن أسماء قالت : « كنا نغطى وجوهنا من الرجال » رواه الحاكم وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبى ـ والمقصود تغطية الوجوه لا بالنقاب ولكن بسدل الجلباب فإن وجه المرأة فى الإحرام كبدن الرجل يغطى لكن لا بمخيط ، والنبى ﷺ لم يشرع للمرأة كشف الوجه لا فى الإحرام ولا فى غيره كما حققه شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره .

٣ ـ قوله ﷺ « المرأة عورة » رواه الترمذى وغيره وصححه الألبانى . ويلزم ستر كل ما يصدق عليه اسم العورة فهو يشمل الوجه والكفين .

إلى عشرات الأحاديث التى لا تتسع هذه العجالة لبسط القول فيها .

ثالثـا :

وقد نقل ابن رسلان إتفاق المسلمين على منع النساء من الخروج سافرات ، قال الحافظ بن حجر (إن العمل إستمر على جواز خروج النساء إلى المساجد والأسواق والأسفار منتقبات لئلا يراهن الرجال) ونقل أيضاً عن الغزالى أنه قال : (لم تزل النساء يخرجن منتقبات) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : كانت سنة المؤمنين فى زمن النبى ﷺ : أن الحرة تحتجب والأَمَة تبرز .

أما ما تمسك به المخالفون من شبهات فهى إما غير صحيحة وإما مؤولة وبسط هذا له موضع آخر إن شاء الله تعالى ـ وعلى من أراد المزيد فليراجع :ـ

أضواء البيان ـ للشنقيطى .

روائع البيان للصابونى « فى تفسير سورتى النور والأحزاب » .

وكذا فقه النظر فى الإسلام ـ لمحمد أديب كلكل .

ونظرات فى حجاب المرأة المسلمة ـ لعبد العزيز خلف .

والصارم المشهور ـ للتويجرى .

والحجاب ـ للمودودى .

* * *

وقد يسر الله لى جمع أدلة هذا البحث مفصلة ، ومناقشة أدلة المخالفين فى بحث « عودة الحجاب » نسأل الله تيسير طباعته وهو وحده المستعان .

وكتبه : محمد بن أحمد بن إسماعيل

واذا كان من الضرورات الاجتماعية ما يلجىء المرأة الى مزاولة عمل آخر غير هذه المهمة الطبيعية لها ، فإن من واجبها حينئذ ان تراعى هذه الشرائط التى وضعها الاسلام لأبعاد فتنة المرأة عن الرجل وفتنة الرجل عن المرأة ومن واجبها ان يكون عملها هذا بقدر ضرورتها ، لا ان يكون هذا نظاما عاماً ، من حق كل امرأة ان تعمل على اساسه . والكلام فى هذه الناحية اكثر من ان يحاط به ، ولاسيما فى هذا العصر « الميكانيكى » الذى اصبحت فيه مشكلة البطالة وتعطل الرجال من اعقد مشاكل المجتمعات البشرية فى كل شعب وفى كل دولة .

وللإسلام بعد ذلك آداب كريمة فى حق الزوج على زوجه ، والزوجة على زوجها ، والوالدين على أبنائهما ، والابناء على والديهم ، ومايجب أن يسود الاسرة من حب وتعاضد على الخير ، ومايجب ان تقدمه للأمة من خدمات جلى مما لو أخذ الناس بها لسعدوا فى الحياتين ولفازوا بالسعادتين .

حسن البنا

● طبعت هذه الرسالة عن نسخة طبعت فى مطابع دار الكتاب العربى . « الناشر » .

الرسالة الثانية

المرأة بين دعاة الإسلام وأدعياء التقدم

للدكتور عمر سليمان الأشقر



تقديـم :

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونستهتديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات اعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، واشهد ان لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وبعد :

هذا الكتاب أصله محاضرة القيت فى معهد التربية للمعلمات فى جمع حاشد من السيدات ، وقد كان للمحاضرة وقع حميد فى نفوس الحاضرات ، وقد احببت ان تضمن المحاضرة فى كتاب لكى يكون الانتفاع بها اعم واشمل .

إن هذا الكتاب يميط اللثام عن أدعياء التحرر ، الذين يزعمون مناصرة المرأة زوراً وبهتاناً ، ويكشف حقيقة مزاعم هؤلاء ، ويبين انصار المرأة الحقيقيين .

إن من الضرورى ان تفقه النساء ان دعاة الإسلام هم الذين يريدون بها ولها الخير ، وان اولئك المستغربين لايريدوون بها خيراً ، ولا يسعون فى صالحها .

أسأل الله تعالى ان ينفع بهذا الكتاب عباده ، وان يكتب لى الأجر والثواب إنه سميع قريب مجيب .

عمر سليمان الاشقر

الكويت ٢٣ ـ جمادى الأولى ١٤٠٠هـ ـ ٩ أبريل ١٩٨٠م .

السفهاء الذين يدعون الاصلاح

نحن المسلمين ودعاة الإسلام نرى ان سعادتنا فى مجتمعنا وفى أسرنا وافرادنا مرهونة بالتزامنا بالاسلام عقيدة وشريعة ومنهج حياة .

ونعتقد اننا سنشقى بمقدار ابتعادنا عن إسلامنا ، تصديقا لكتاب ربنا القائل : « فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن اعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ، قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا ، قال كذلك أتتك آياتنا ، فنسيتها ، وكذلك اليوم تنسى ، وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ، ولعذاب الآخرة اشد وأبقى »[1] .

إلا أن أعداء الاسلام ينصبون انفسهم هداة مصلحين فى ديارنا زاعمين انهم هم المؤمنون المصلحون الذين سيخلصون البشرية من آلامها واوجاعها ، يزعمون أنهم بمناهجهم سيقودون البشرية الى السبيل الاقوم ، وسيمدونها بمقومات البقاء ، وقد اعلمنا الله بشأن هذا الصنف من الناس وبحاله ، واكذب هؤلاء فى زعمهم ودعواهم ، اكذبهم فى زعمهم الإيمان « ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين »[2] . وبين ان قولهم هذا انما هو خداع ، ولكنه لاينطلى على الله ولا على المؤمنين من عباده ، « يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون »[3] .

وسبب هذا الاتجاه ليس هو الاصلاح ، وانما هو مرض القلوب ، مرض الهوى والشهوة ، ومرض الشبهة والشك الذى يغشى قلوبهم « فى

(١) سورة طه : ١٢٣ - ١٢٧ .

(٢) سورة البقرة : ٨ .

(٣) سورة البقرة : ٩ .

قلوبهم مرض ، فزادهم الله مرضاً ، ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون »[1] .

وعندما يطالبون بالاستقامة على منهج الله الذى يصلح البلاد والعباد ، وينهون عن معارضة هذا الحق ، ويوضح لهم ان ماهم عليه هو الفساد ـ يكابرون ، ويزعمون انهم مصلحون « وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض قالوا إنما نحن مصلحون ؛ الا إنهم هم المفسدون ولكن لايشعرون »[2] .

وعندما يطالبون بأن يتابعوا الأخيار ، ويسلكوا سبيلهم ـ يتعالون ، ويصفون الرسل واتباعهم بالسفه ، وواقع الامر انهم هم السفهاء ، « وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس ، قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ، ألا إنهم هم السفهاء ولكن لايعلمون »[3] .

هؤلاء هم أتباع شياطين الكفر ، أتباع اليهود والنصارى والشيوعيين والملحدين ، الذى يستمدون فكرهم ومناهجهم من تصورات اولئك ومن فكر اولئك ، « وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، وإذا خلوا الى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون »[4] .

وقد حكم الله على هؤلاء بالضلالة والخسران ، « اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين »[5] .

أدعياء التقــدم

هذا الصنف كثير كثير فى ديارنا فى هذه الايام ، يدعون الايمان والاسلام ، ويزعمون انهم على الهدى والصلاح ، ولكنهم لا يرضون

---

(١) سورة البقرة : ١٠ .
(٢) سورة البقرة : ١١ ، ١٢ .
(٣) سورة البقرة : ١٣ .
(٤) سورة البقرة : ١٤ .
(٥) سورة البقرة : ١٦ .

بدين الله دينا ، ولا بمنهجه وشريعته منهجاً وسبيلا ، ويحاولون ان يصموا المسلمين ودعاة الاسلام الصادقين بالسفه والتحجر والجمود والتأخر ، ويزعمون أنهم المصلحون التقدميون المتمدنون المتحضرون .

وإذا ما تكشفت خبيئة هؤلاء وجدنا نفوسا مريضة ، أسرها الهوى ، وغلبت عليها الشهوات ، وأحاطت بها الشكوك والشبهات من كل حدب وصوب .

واذا نظرنا الى جذورهم الفكرية وجدناها تمتد فى فكر اعداء الاسلام ، تشرب منه ، وتستمد من تعاليمه ومناهجه .

متاجرة هؤلاء بقضايانا

هؤلاء يدلسون على ابناء هذه الامة ، يلبسون لبوس المصلحين والمعلمين والمربين والمفكرين ، ويزعمون أنهم انصار المزارع والعامل والشباب والنساء ، يتاجرون بقضايا هؤلاء ، ويطالبونهم ان يتبنوا مناهجهم ، ويزعمون أنهم سيحققون لهم الخير والرفاهية والحاجات والمطالب . . .

إننا سنحاول ان نميط اللثام عن هؤلاء فى قضية واحدة هى قضية المرأة ، ونبين للناس ان هؤلاء الذين يزعمون التقدم والتحضر ليسوا بتقدميين ولا متحضرين ، بل رجعيون متأخرون ، وسنحاول ان نكشف زيفهم وباطلهم ، ونبين ان مناصرتهم للمرأة كذب وزور ، فهم انما يتاجرون بهذه القضية ، إرضاء لأمراض نفوسهم ، وكى يصلوا إلى تحقيق شهواتهم واهوائهم .

دعاة الإسلام هم أنصار المرأة

وسنحاول ان نعرف بانصار المرأة الحقيقيين ، وهم دعاة الإسلام ،

الذين يطالبون بتحقيق شريعة الله وحكمه ، وفى ذلك تحقيق لسعادة الناس جميعاً بما فيهم المرأة .

ودعاة الإسلام يملكون المنهج الحق الكامل الشامل الذى يحقق ذلك .

بشائر النصر

تشهد ديار المسلمين فى هذه الايام بشائر النصر ، النصر الذى سترتفع فيه راية الاسلام من جديد ، تضىء دنيا البشر ، وتعيد الحق الى نصابه ، وتعطى القوس باريها ، والسهم نابله .

إن بشائر النصر فى ايامنا تتمثل فى هذا الشباب الطيب الذى آمن بالاسلام ، وانساب فى كل مكان ينادى بالعودة الى الله ، وتحكيم شرعه ، متحملا فى سبيل ذلك العذاب والفتن ، شباب فى ريعان الصبا ، وفتيات فى عمر الورود .

لقد توجه الشباب فى القاهرة ودمشق والكويت وكراتشى وغيرها الى كتاب الله ينهلون من مائه العذب النمير ، ووجهوا وجوههم شطر البيت العتيق ، وولوا ظهورهم للقبلة التى أقامها أتباع شياطين الكفر ، وولوا ظهورهم لموسكو وواشنطن ولندن ، عملا بقوله تعالى : ﴿ ومن حيث خرجت فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾[1] .

لقد عادت الفتاة المسلمة والمرأة المسلمة إلى اسلامها ، عادت معتزة بشخصيتها الإسلامية ، عادت تهتدى وتقتدى باللواتى انزل الله فيهن قرآناً بعد ان كانت توجه قلبها ووجهها الى غانيات باريس وممثلات (هوليود) .

---

(١) سورة البقرة : ١٥٠ .

عويل الذئاب وفحيح الأفاعى

رأى اعداء الإسلام الذين يتربصون به وبأهله الدوائر تباشير النصر ، فادمى ذلك قلوبهم واطاش أحلامهم ، فأخذوا يتنادون من كل حدب وصوب ، فى امريكيا وفى بريطانيا وفى فرنسا وفى موسكو وتل أبيب ، أخذوا يتنادون بالويل والثبور وعظائم الامور ، محذرين من المارد الذى بدأ يتململ فى قيوده ، ويصحوا من غفوته . ففى السنوات الماضية شهدت عواصم الكفر ودوله فى صحفها واذاعاتها وتلفزيوناتها سيولا من التداعى والتنادى ؛ لكف خطر الإسلام الذى يتمثل فى الصحوة الإسلامية فى تركيا والباكستان ومصر والاردن وغيرها ، نشروا ، وبحثوا ، وحللو ، ثم اجمعوا على وجوب محاربة الخطر الداهم قبل ان يكتمل نموه ، وتقوى عضلاته ، ويشتعل أواره ، « ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين »[1] وسيعلمون غدا أن جهودهم غير مباركة ، وأنها ستعود عليهم بالحسرة والخسران « فسينفقونها ، ثم تكون عليهم حسرة ، ثم يغلبون »[2] ، ذلك ان الله ناصر رسله والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد ، « هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون »[3] .

رجع الصدى وترديد الببغاوات

عندما نعق الاسياد فى عواصم الكفر ، تحرك أذنابهم فى ديارنا ، هؤلاء الذين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم : « دعاة على

(١) سورة الأنفال : ٣٠ .
(٢) سورة الأنفال : ٣٦ .
(٣) سورة التوبة : ٣٣ .

أبواب جهنم من أجابهم قذفوه فيها » وقال معرّفًا بهم : « هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا »[١] .

الصحافة والاذاعة والتلفزيون والكتب تردد ما يقوله شياطين الكفر ، هجوم خبيث على الفتيات المسلمات اللواتى استجبن لامر الله وشرعه ، للواتى رضين بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا .

سيول من الشتائم والتهم والالقاب السفيهة ، لقد هاجموا المتحجبات والحجاب ، وقالوا الحجاب ظاهرة ، وظاهرة عفنة ، وقال قائلهم[٢] : « الحجاب رمز مذلة المرأة ، ومصادرة لما وهبتها إياه الطبيعة ، وصورة انقطاعها القسرى عن الحياة الحقيقية الوسيعة والخصيبة » .

وقال حاكم من حكام ديار المسلمين[٣] : الحجاب تقليد من التقاليد البالية العتيقة .

وقال بعض هؤلاء : « ما تحجبت من تحجبت الا سترا لعيوب الجسد ، ورغبة فى الزواج من شاب متدين إذ كسدت سوق الزواج »

وقالوا ما هذا التحجر والجمود ، وقالوا : « العودة الى الحجاب عودة الى الجاهلية الاولى » « ان الحجاب لايصلح الا فى مجتمع قِبَلي جاهلى » وفى هجوم كاتبة مصرية على النساء المسلمات المحجبات قصت قصة شابة محجبة اتخذت من الحجاب ستاراً لانحرافها وفجورها .

جـــذور هــؤلاء

هؤلاء الذين يرغون ويزيدون ، والذين أكل الغيظ قلوبهم ، إنما

---

(١) حديث صحيح رواه البخارى وغيره . « الناشر »

(٢) عفيف دراج فى مجلة الأسبوع العربى عدد ٨٣١ بتاريخ ١٩٧٥/٥/١٢

(٣) هو بورقيبة .

يستمدون قيلهم وافكارهم من هناك ، من وراء البحار ، يقول كاتب[١] غير متهم عند هؤلاء لانه من ادعياء التحضر والتقدم فى مجلة اسبوعية : « لا نبالغ اذا قلنا ان مدى جذور المطالب التحررية التى رفعها الرعيل الأول من الرواد كانت تحدد بمقدار ما نهلوه من الفكر والحضارة التى طالعتهم » .

والحضارة التى طالعتهم » .

ويقول : « كان الرعيل الأول قناديل تغوص ذبالاتها بدرجة او باخرى فى الفكر الغربى المتقدم » .

والرعيل الأول عنده هم الذين طالبوا بتحرير المرأة امثال رفاعة الطهطاوى ، ومحمد عبده ، والأفغانى ، وقاسم امين ، وفرح انطون ، وشبلى الشميل ، وأضرابهم »[٢] .

حقيقة هؤلاء

وإذا سبرنا غور الذين يقومون على هذه الدعوة اليوم نجد أن هؤلاء صنفان :

صنف جاهل بحقيقة الدعوة التى بيناها ، قد ألبست الشياطين عليه امره حتى ظن السم الزعاف داءً شافياً ، والطعام العفن غذاء طيباً ، والماء القذر شرابا سلسبيلا .

وقد وصل الحال ببعض هؤلاء أن أصبحوا كالخفافيش التى يعميها النهار بضوئه ، أصبحوا لايرون الحق ، ولا يعيشون إلا فى الظلام ، ولا يستطيعون ان يصمدوا للحجة والبرهان .

ونحن دعاة الاسلام نريد ان نكشف لهؤلاء الباطل ، ونظهر لهم الحقيقة ، ونحن على ثقة انهم لو أبصروا لما ارتضوا بالاسلام بديلا ،

---

(١) أنظر مجلة صدى الأسبوع عدد ٣٢٠ فى ١٩/١٠/٧٦ .

(٢) بعض هؤلاء لم يكن يقصد ما يقصده أدعياء التحرر أمثال محمد عبده ، وإن جاراهم فى بعض ما ذهبوا إليه .

ولا راموا عنه تحويلا ، ذلك ان الاسلام شمس ساطعة ، ونور وضياء ، وأنى لمن عرف نور الشمس ان يستبدل بها الظلام ! وكيف لقلب ان يعرف الحق ثم يستبدل به الغثاء !!

« وكذلك أوحينا إليك روحاً من امرنا ، ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ، ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا »[١] ..

والصنف الثانى هم الماكرون المخادعون الذين يعرفون الحقيقة ولكنهم يزيغون عنها ، ويشوهونها فى صدور الناس وفى عقولهم ، كى يسوقوهم الى حتفهم بظلفهم ، كى يدمروا انفسهم بأيديهم وبأيدى هؤلاء .

رويدكم يا ادعياء التقدم

ونقول لهؤلاء منذ البداية : رويدكم يا أدعياء التقدم والتحضر ، رويدكم فقد طف الصاع ، وطفح الكيل ، رويدكم فقد جاوزتم حدكم ، وخرجتم عن طوركم .

من أنتم حتى تطاولوا السماء باعناقكم ، من أنتم حتى تنازعوا الله فى حكمه ؟ انتم عبيد مقهورون مربوبون ، انتم بشر مخلوقون من ماء مهين ، واصلكم قبضة من طين ، إن جهلكم اكثر من علمكم ، وخطؤكم أكثر من صوابكم ، أنتم تقولون قولا والله يقول قولا ، وقولكم مخالف لقول الله ، أفتريدون ان نصدق كلامكم ونتبع أهواءكم ، ونكذب بكلام ربكم العليم الخبير الحكيم الذى احاط بكل شيء علماً ، الذى لاتخفى عليه خافية فى الارض ولا فى السماء ؟ !!

الله يقول ان التزام المرأة بدينها يجلب لها ولزوجها وأسرتها والمجتمع من حولها السعادة والهناء ، ويقول : إن هذا هو التحضر والرقى ، وانتم تزعمون ان ذلك تأخر ورجعية وجمود ، وتزعمون ان ما عليه المرأة

---

(١) سورة الشورى : ٥٢ .

فى الغرب هو الحضارة والرقى ، وتريدوننا ان نؤمن لكم ، ونصدقكم فيما ذهبتم اليه ؟ لقد خبنا وخسرنا ان فعلنا ذلك . ونحن نعلم أننا إن تابعناكم وسرنا وراءكم فإنكم ستفسدون علينا امر دنيانا ، وامر آخرتنا ، فلقد وعد الله من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى بأن يحييه حياة طيبة « من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم باحسن ما كانوا يعملون »[1] ، و« من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ، ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب »[2] .

إننا نرفض ان نتابعكم فى الدنيا كما يتابعكم من تسمونهم بالجماهير ، لأننا نخشى فى يوم القيامة ان تقودونا الى النار ، كما يقود زعماء السياسة والفكر المنحرف اتباعهم فى ذلك اليوم ، « وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبرو إنا كنا لكم تبعا ، فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء ؟ قالوا : لو هدانا الله لهديناكم ، سواء علينا أجزعنا ام صبرنا مالنا من محيص »[3] .

وقال تعالى فى فرعون وزبانيته : « وجعلناهم أئمة يدعون ألى النار ويوم القيامة لاينصرون »[4] .

مكر وخديعة

إنّ هؤلاء الذين يرددون ما يقوله الاسياد فى واشنطن ولندن وموسكو ماكرون مخادعون ، لايقولون للمرأة المسلمة تعالي الى الشيوعية ، وتمردى على حكم الله بصراحة ووضوح ، ولكنهم يفعلون ما فعله

---

(١) سورة النحل : ٩٧ .
(٢) سورة غافر : ٤٠ .
(٣) سورة إبراهيم : ٢١ .
(٤) سورة القصص : ٤١ .

ابليس بآدم وحواء ، فقد اسكن الله آدم وحواء جنته ، وأباح لهما نعيمها ، وجعل استمرار وجودهما فيها مرهونا بطاعته فى ترك الاكل من الشجرة المحرمة ، وحذر الله آدم من إطاعة عدوه إبليس الذى يريد إهلاكه وتدميره ، وجلب الشقاء له : « فقلنا ياآدم ان هذا عدو لك ولزوجك ، فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ، ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى ، وإنك لاتظمأ فيها ولا تضحى »[1] ، ومع هذا التحذير فقد خدعه عدوه ومكر به ، وكل ما فعله ابليس ان زيف الحقيقة ، والبس الحق لباس الباطل ، والباطل لباس الحق ، لم يأت الشيطان ليقول للانسان : كل من الشجرة المحرمة ، كى يغضب الله عليك ، ويطردك من جنته ، وينزلك الى دار الشقاء ، بل قال له : ان فى الاكل من الشجرة سعادتك وهناءك وخيرك ، إن انت اكلت من الشجرة حصلت على الملك العظيم ، والحياة الخالدة ، وتحولت الى ملك غير قابل للفناء ، وزيادة فى الاضلال ، وامعانا فى التغرير بآدم اقسم له ولزوجه انه صادق فيما يقول ، وانه ناصح لهما ، يقدم لهما الخير ، ويدلهما على الطريق الحق (فوسوس اليه الشيطان ، قال ياآدم : هل أدلك على شجرة الخلد وملك لايبلى »[2] ، « وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ، وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين »[3] .

فماذا كانت النتيجة ؟ عصيا ربهما فانكشف سترهما ، واهبطا الى دار الشقاء بعد ذلك الملك العظيم والنعيم المقيم « فدلاهما بغرور ، فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما ، وطفقا يخصفان عليهما من ورق

(١) سورة طه : ١١٦ ، ١١٩ .
(٢) سورة طه : ١٢٠ .
(٣) سورة الأعراف : ٢٠ ، ٢١ .

الجنة »[1] « قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ، ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين »[2] .

نماذج من المكر والخداع

وأهل الضلال وقادته يسيرون على هدى ابليس فى اضلالهم العباد ، فهم يصورون الحق فى صورة الباطل ، والباطل فى صورة الحق ، وهم فى ذلك يفلسفون الباطل ، ويحاولون أن يدللوا عليه بما يوهم الذين لا علم عندهم بان قولهم حقائق لا تقبل الجدل . ومن جملة ذلك ما يفعله ادعياء التقدم حين يطلبون من المرأة التمرد على دين ربها ، والخروج على تعاليمه ، باسم التحرر والتمدن . . ، فمن ذلك انهم يقولون للمرأة ما هذه الملابس التى تكبل حريتك ، وتخفى جمالك ومحاسنك ، وتحرمك من التمتع بالحياة ؟! ويقولون لها : لماذا أنت فى المجتمع عضو أشل ، لاتساعدين فى رفاهية المجتمع ولا تقومين بأعمال الرجال ؟! انت لست بأقل من الرجل شأناً ، والرجل ليس اذكى منك .

ويقولون إن علاج الكبت الجنسى الذى يعانى منه الرجال والنساء لاسبيل للخلاص منه إلا بما قرره شياطين الغرب ـ امثال فرويد ـ بالخلطة بين الجنسين ، واجتماع القبيلين .

وقل جاء الحق وزهق الباطل

إن باطل هؤلاء لايصبر امام الحجة والبرهان ، ذلك ان باطلهم ظلام ، وحجتنا وبرهاننا نور ، وأنى تصبر جيوش الظلام أمام جحافل الحق . « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق »[3] .

---

(١) سورة الأعراف : ٢١ .
(٢) سورة الأعراف : ٢٤ .
(٣) سورة الأنبياء : ٨٨ .

إن هؤلاء لايعيشون الا فى الظلام ، واذا نقلوا الناس الى فكرهم ومنهجهم ، من شيوعية الى رأسماليه ، أو العكس ، فإنما ينقلونهم من باطل الى باطل ، او من حق الى باطل . ويتفرد منهج الله بنقل الناس من هذه المناهج المظلمة السوداء الى الحق الوهاج ، « الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ، والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات »[1] .

إن الرد على هؤلاء قريب ، وافضل رد هو تخلى المرأة المسلمة عن هؤلاء ، فقد انخدعت نساء المسلمين بهؤلاء زمناً طويلاً ، وخلعن الحجاب ، وخالطن الرجال ، وجرين فى الدروب التى أرادوها طويلا ، فما وجدن عندهم إلا الشقاء ، فعاد كثر من هؤلاء مستغفرات تائبات .

وقد اغاظ ادعياء التحرر عودتهن ، فقد كتبت جريدة الاهرام بتاريخ ١٩ / ٤ / ٧٧ تقول : « أمس مرّ (٧١) عاما على وفاة قاسم امين محرر المرأة الذى دعا الى تحرير المرأة ورفع الحجاب » ثم يقول الكاتب مغتاظا متحسرًا متأسفاً « الغريب انه بعد مرور (٧١) سنة على وفاته ، وفى نفس الوقت الذى نحتفل فيه بذكراه تقوم الدعوة الى رجوع المرأة إلى البيت وحجبها عن المشاركة فى الحياة العامة » .

بصيص من نور من بلاد الكفر

وفى الظلمات المتكاثفة فى ديار الكفر يضيء حنادس الظلماء فى بعض الاحيان بصيص من نور ، يحاول ان يفتح العيون العمي ، ويبصر القلوب الغارقة فى الضلال ، ويجلوا الحقيقة .

لقد اغرق اليهود العالم الغربى بسيل جارف من النظريات والسموم والشهوات ، حتى أصبح العلماء والعوام لايدرون من أمرهم شيئاً . وذلك تنفيذاً لتعاليم حكماء صهيون . وجاء فى البروتوكول الخامس من

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٧

بروتوكولاتهم : (ولكى نطمئن الى الرأى العام يجب بادىء ذى بدىء ان نربكه تماما ، فنسمعه من كل جانب وبشتى الوسائل آراء متناقضة لدرجة يضل معها غير اليهود الطريق فى تيههم ، فيدركون حينئذ ان اقوم سبيل هو ان لايكون لهم رأى فى شئون السياسة . . ، والسر الثانى الملازم لنجاح حكومتنا يقوم على مضاعفة الاخطاء التى ترتكب والعادات والعواطف والقوانين الوضعية فى البلاد لدرجة يتعذر معها التفكير تفكيرا سليما وسط تلك الفوضى) .

وجاء البروتوكول الأول : (إن الشعب لدى المسيحيين اضحى متبلدا تحت تأثير الخمر ، كما ان الشباب قد انتابه العنة ، لانغماسه فى الفسق المبكر الذى دفعه اليه أعواننا من المدرسين والخدم والمربين والمربيات اللاتى يعملن فى بيوت الاثرياء ، والموظفين والنساء اللاتى يعملن فى أماكن اللهو ، ونساء المجتمع المزعومات اللواتى يقلدنهن فى الفسق والترف) . ومع هذا الطوفان الذى أغرق به اليهود عالم الغرب ، فإنه لايزال بعض المفكرين والعقلاء منهم يرون الخطر الداهم الذى يأخذ بخناقهم وخناق مجتمعاتهم ، فإذا بهم يحاولون ان يرفعوا عقيرتهم فى وسط السيل الهادر منبهين إلى الدمار الذى يكاد يحيط بهم ، ولكنها اصوات تضيع فى ذلك البركان ، وأصداء تضيع فى ذلك الطوفان .

ونحن وإن كنا فى غنى عن هذه المقالات والتحقيقات اكتفاء بما نراه فى واقع المجتمعات الغربية من فساد يراه كل ذى عينين ، واكتفاء بما عرفناه من الحق ، إلا اننا نورد هذه المقالات والرؤيا من علماء الغرب من باب قوله تعالى : « وشهد شاهد من اهلها »[1] ، ومن باب قولهم : (والفضل ما شهدت به الاعداء) ، ولان المستغربين فى ديارنا يرون ان كلام هؤلاء هو الحجة التى لاتقبل النقاش ، وحالهم هو الحياة المثلى التى لا تعلو عليها حياة .

---

(١) سورة يوسف : ٢٦ .

أنقذوا العائلة فى الغرب من الموت[1]

« أنقذوا العائلة من الموت » هذا النداء (الداراماتيكى) أطلقه العالم الاجتماعى الفرنسى (برنار أوديل) . وهو النداء الثالث الذى يطلقه خلال الثلاثين سنة الماضية .

كان الأول : « أنقذوا العائلة من الاستلاب » .

وكان الثانى : « أنقذوا العائلة من التفتت » .

وها هو يطلق النداء الثالث ، لان المعطيات التى توفرت لديه حول وضع العائلة فى الغرب تثبت جميعها أنه قد حان الوقت لكى تقرع أجراس الانذار فى كل بيت من نصف الكرة الغربى .

وقد قام هذا الباحث الغربى (برنار أوديل) . على امتداد السنتين الماضيين - بمسح ميدانى للعائلة الغربية . تنقل بين مختلف البلاد الأوروبية وعبر الاطلسى الى الولايات المتحدة وكندا . . . ، ليعود بعدها بجعبته المليئة بالاصوات التى تحذر من اتجاه العائلة الغربية نحو الانقراض .

هذه الاصوات مع تحليل واف لها جمعها (أوديل) فى كتاب اطلق عليه عنوان « أنقذونا » .

والاصوات تلك هى عبارة عن حوارات قصيرة أجراها المؤلف مع نساء واطفال وآباء وأجداد حول طبيعة علاقة كل واحد منهم بأفراد عائلته الآخرين ، والاصوات السعيدة كانت نادرة جدا ، بل واستثنائية ، ولنسمع الى عدد من هذه الاصوات .

أطفالى ملوثون باليأس

(ميريام كورفى) سيدة هولندية وأم لثلاثة اطفال تقول : زوجى

---

(١) راجع جريدة الرأى العام الكويتية بتاريخ ١٩٧٩/٤/٢٠ ص ١٤ .

يعمل من الثامنة صباحاً وحتى السادسة مساءً ، وأنا اعمل من الثامنة صباحا حتى الواحدة ظهراً ، اعتقد اننا فى حالة مادية معقولة ونسكن فى شقة جيدة . . . ، ويبدو ان هذا لايكفى فثمة تشققات هائلة داخل العائلة ، لكأننا من عالم مختلف تماماً عن عالم اطفالنا ، . . . انا وزوجى نجتر بعض الحنين السابق ، وبعض التفاؤل السابق . . . ، الأمر لاطفالنا مغاير جداً ، قد اكون مخطئة لكننى اشعر بحدس الأم ، إن اطفالى ملوثون بيأس خاص ، اعتقد انه استوطن بقوة فى اللاوعى . إننى لا افهم الدافع لذلك ، فهم يتابعون دروسهم فى مدرسة متفهمة ، كما أنهم يشاهدون التلفزيون كل مساء .

لقد سألت أحد الاصدقاء وهو استاذ فى علم النفس عن هذه الحالة ، فأجاب ان ملاحظتى هذه مجرد خيال ، وإن الأطفال فى صحة حضارية جيدة ، كلمة « حضارية » هذه هى التى افزعتنى ، فأنا اعتقد إن أولادى ككل الاولاد الآخرين يعانون حصاراً ما . . . ، إننى لا افهم . . . ، كل ما استطيع ان اقوله هو ان الحنان الذى اقدمه لاطفالى لايكفيهم على مايبدو ، لايمكننى ان اقدم اكثر من ذلك ، واعتقد اننا نبنى جيلا سيكرهنا بالضرورة .

طفلة تفكر فى الهروب من عالم الغرب

(سوزان ليليث) طفلة أمريكية فى الثانية عشرة من العمر ، تقول : إننى لا أرى والدى كثيرا ، وهو مرهق باستمرار ، وكذلك أمى ، عندما ابلغ الثامنة عشرة اريد ان اهاجر وحيدة الى الهند . . . ، المدرسة قالت لى ان البيوت هناك كثيرة ، وان الناس يجلسون فى الطرقات ويتحادثون ، المدرسة قالت لى ايضاً : ان الهنود يقدسون البقرة ، وأنا لم أر بقرة فى حياتى الا على شاشة التليفزيون او فى الكتب لا أريد ان أبقى هنا . . . ، لا اريد ان يتجعد وجهى مثل امى ، اننى أنوى السفر الى الشرق .

(بيتو لاهايت) عجوز فى الخامسة والسبعين ، من أصل أرلندى وتعيش منذ خمسين عاماً فى مدينة (اوتاوا الكندية) ، تقول : أننى لااستطيع ان افعل شيئا سوى أن أرى هؤلاء الشبان الذين يرتطمون بهذا الواقع الجاف ، اخشى ان يكرهنا ابناؤنا . ترى لماذا يكرهوننا ؟ لقد ارغمناهم كى يأتوا الى هذا العالم عندما فقد هذا العالم كل سطوع وحرارة .

إننى أعيش وحيدة . . . أولادى وأحفادى يعيشون فى (منتريال) ، أتلقى منهم الرسائل بانتظام ، وأشعر أن عملية تناول الرسائل باتت (ميكانيكية) ، لانها خالية من الود الحقيقى . . ، هذا ليس ذنبهم . . ، اعود ستين عاما الى الوراء ، عندما كانت حياتنا اشبة بالمهرجان الدائم ، الآن تبدل كل شىء ، ويبدوا ان الناس كلهم يسيرون « فى جنازة هم الاموات فيها » .

الانسان الآلى

(الكسندر هيبرت) أب لولدين ، يعمل رئيسا للدائرة الفنية فى أحد مصانع الأدوية ، يقول : إن عملى هو ذو طبيعة (فيزيائية) يمكننى القول باننى اساهم بشكل او بآخر فى تقليص آلام ملايين البشر . . . ، اعمل بانتظام وصل الى حد الآلية التامة . . . ، زوجتى تصفنى بأننى رجل آلى من لحم ودم ، وانا لا اجيب بحدة لاننى مقتنع ضمنا بوجهة نظرها ، فعندما يفقد الانسان تطلعاته نحو حلم ما ، يفقد نفسه[1] . . . ، هذا الشعور ينتابنى بقوة يجعلنى أعجز من التفاعل مع أطفالى بحنان .

---

(١) لقد فقد الناس هناك الهدف الذى لا تصلح الحياة بدون السعى لتحصيله ، ومن نعمة الله على المسلم أنه يعرف الهدف الحق الذى ينبغى أن يسعى إلى تحقيقه ، إنه تحصيل رضوان الله ، والفوز بدار الخلد .

فى الماضى كان الاطفال هم الامتداد للأهل . . . ، الان يخيل لى ان الاطفال هم هروبنا . . ، هم شخصيتنا المنفصلة .

اعتقد اننى لو تدخلت اكثر فى حياة اطفالى لزدت فى الهم اللاشعوري ، اننى ابتعد عنهم ، وهم يبتعدون عنى ، ليس لدي من حل إطلاقا لهذه المشكلة ، ولا يمكننى ان استشير احدا ، لان معظم زملائي ـ إن لم يكونوا كلهم ـ يعانون من هذه التعقيدات ، لست على استعداد لكى استشير طبيبا نفسيا فى الامر ، فالمشكلة كما يبدو لى حضارية وليست نفسية .

هذه نماذج محدودة من لائحة طويلة من النماذج الحية التى انتقاها (برنار اوديل) عشوائيا ، وكلها يشير الى خطر انقراض العائلة الغربية .

وهذه النماذج توضح ذلك الشقاء الذى بدأ يغشى الاسرة هناك ، وتلك الكراهية والفرقة بين الاباء والابناء ، وتلك الامراض الاجتماعية التى تجعل فرقا كبيرا بين نظرة الاباء والابناء ، مما ينتج عنه فصام كبير بين الجيل اللاحق والجيل السابق .

وقد اهدى مؤلف الكتاب رؤساء وملوك الغرب نسخا من كتابه علَّ الانذار الذى اطلقه يصل الى اولئك الذين يمسكون باطراف الخيط .

تفشي الجريمة بين النساء فى المجتمعات الغربية المتحررة

اصدر مكتب التحقيقات الفدرالى فى امريكا تقارير مذهلة فى هذا الامر ، وقد تحدثت صحيفة (النيويورك تايمز) عن هذا الموضوع فى (ابريل ١٩٧٥) معتمدا على تقارير مكتب التحقيق الفدرالى ، وترجمت مجلة المجتمع الكويتية هذا التحقيق فى عددها الصادر بتاريخ ١٩٧٥/٤/٢٢ تقول (النيويورك تايمز) فى هذا الموضوع :

« وخرج اخيرا تقرير من مكتب التحقيقات الفدرالية يشير الى ان

معدل الجريمة بين السيدات او الجريمة النسائية ارتفع ارتفاعا مذهلا مع نمو حركات التحرر النسائية » .

وقال التقرير : « ان الاعتقالات بين النساء زادت بنسبة ٩٥٪ منذ عام ١٩٦٩ ، بينما زادت الجرائم الخطيرة بينهن بنسبة ٥٢٪ »

ويقول التقرير : « ان أخطر عشرة مجرمين مطلوب القبض عليهم كلهم من السيدات ومن بينهم شخصيات ثورية اشتركن فى حركة التحرر النسائية مثل (جين البرت ، وبرنادين دون) » .

وتقول الصحيفة : « وراء ربط ارتفاع نسبة الجريمة بين النساء بحركات التحرر النسائية وجهة نظر تقول : إن منح المرأة حقوقا متساوية مع الرجل يشجعها على ارتكاب نفس الجرائم التى يرتكبها الرجل ، بل ان المرأة التى تتحرر تصبح اكثر ميلا لارتكاب الجريمة » .

السعادة المفقودة

وتحدثت (بريجت أوف هاهر[1]) القاضية السويدية التى كلفتها الامم المتحدة بزيارة البلاد العربية للتعرف على المرأة العربية ودراسة اوضاعها الاجتماعية والقانونية ـ تحدثت فى بداية تقريرها الذى رفعته الى الامم المتحدة عن المأساة التى خلفتها اوضاع الحرية المزعومة فى السويد أرقى بلاد الحضارة الغربية ، فهى بعد ان تقدم احصائية فى ازدياد نسبة الانتحار سنة بعد سنة فى السويد تقول : « إن المرأة السويدية فجأة اكتشفت انها اشترت وهما هائلا ـ وتقصد الحرية التى اعطيت لها ـ بثمن مفزع هو سعادتها الحقيقية » .

وتقول القاضية السويدية عن استقبال المرأة السويدية لعام المرأة (١٩٧٥) « ولهذا فإنها تستقبل العام العالمى لحقوق المرأة بفتور

---

(١) من مقال نشر فى مجلة الأمان البيروتيه فى العدد الثامن بتاريخ ٧٩/٣/٢٣ .

مهذب ، ونحن الى حياة الاستقرار العائلية المتوازنة جنسيا وعاطفيا ونفسيا ، فهى تريد ان تتنازل عن معظم حريتها فى سبيل كل سعادتها » .

وتقول الدكتورة الباحثة فى تقريرها « والنتيجة على مستوى الامة مذهلة حقا ، ففى تقرير رسمى خطير لوزارة الشئون الاجتماعية السويدية اعلنت الدولة أن ٢٥٪ من السكان فى السويد مصابون بأمراض عصبية ونفسية ، وأن ٣٠٪ من مجموع المصروفات الطبية فى السويد تنفق فى علاج الأمراض العصبية والنفسية ، وأن ٤٠٪ من مجموع الأشخاص الذين يحاولون إلى التقاعد قبل سن المعاش بسبب العجز التام عن العمل هم من المرضى المصابين عقلياً » .

وينبغى أن يعلم ان الامراض الجنسية لاتدخل فى هذه الاحصائيات ابعد ما وصل اليه حال المرأة وانحرافها فى عالم الغرب .

ويقوم رجل[1] مخدوع موتور ينادى قائلا : « هناك تيار (ميتا فيزيقى) مغرق فى رجعيته وتحجره يقاوم تحرر المرأة بالافكار نفسها التى سادت عصور الظلمة ، ومن الذين يعنيهم الكاتب الحاقد اسمعه يقول : « ويتمثل هذا التيار بالشيوخ والاساتذة العاملين فى مؤسسات التعليم الدينى او الجامعى امثال د . محمد البهى ، وعلى وافى واحمد شلبى ، ويقع ضمن هذا التيار مشاهير : امثال عباس محمود العقاد وسيد قطب وغيرهم) ، ولو قرأ هذا الكاتب الذى ضل عن الحقيقة ماكتبته صحيفة (التايمز اللندنية) بتاريخ ٧٤/١٢/٢٣) لعدّها فى جملة هذا التيار المغرق فى الرجعية .

قالت هذه الصحيفة فى اثناء تعليقها على كتاب الاستاذ خورشيد أحمد (الحياة العائلية فى الإسلام) :

« إن القواعد التى تقوم عليها الحياة العائلية فى الاسلام والتى وضعت

(١) عفيف فراج ، انظر مجلة الأسبوع العربى عدد (٨٣١) فى ٧٥/٥/١٢ .

الاسس فى امور كالإرث وحقوق اليتامى واختلاط الجنسين كل ذلك مرسوم لدعم تماسك الاسرة فى صورة من الصور » .

وتقول : « اعتقاد السيد خورشيد أحمد بأن المحافظة على الحياة الاسرية ضروري لخير ورفاهية الامم ، يشاركه فيه كثير من النصارى واليهود ، بل كثير من محبى الانسانية ، ومن هنا فإن الشعوب والامم الاسلامية تتمتع بمركز قوى فى العالم اليوم ، لا لمجرد ان العرب يمتلكون الثروة النفطية ، وانما يملكون نظاما عائليا مستقرا ، وهو نفس النظام الذى يسعى الغرب بجنون للتفلت منه » .

مزيد من الحقائق عن المرأة فى عالم الغرب(1)

لقد انهارت سعادة المرأة البيتية فى عالم الغرب ، وضاعت أمومتها الحانية ، وفقدت ارادتها وشخصيتها ، فغدت حامل الطفل اللقيط تبحث فى شرق البلاد وغربها عن مستشفيات الوضع ، ففى تقرير احصائى اصدرته منظمة الصحة العالمية فى عام ١٩٦٢ ذكرت منظمة الصحة انه يجرى فى كل عام (١٥) مليون حادثة إجهاض أو قتل جنين ، وهذا الرقم يمثل فقط العمليات السرية غير المشروعة قانونا ، اما الدول التى تسمح بهذا العمل كالدول (الاسكندنافية) ، ومعظم دول أوروبا التى تبيح الاجهاض فهى غير داخله فى الاحصاء .

المرأة اليوم فى عالم الغرب تمزقها مأساة مؤلمة ، ان كثيرا من النساء هناك يحملن على اكتافهن ظلم الرجال ، وصعوبة الحياة ، يحملن على اكتافهن اطفالا قد حرموا من حنان الابوة ، والمرأة هناك يقلقها ظلمات الحيرة والندم كلما صرخ الطفل : ماما .. لماذا ليس لى أب كسائر الرجال ؟!

---

(١) راجع مجلة الأمان البيروتية فى عددها الثامن فى ١٩٧٩/٣/٢٣

المرأة فى عالم الغرب لم تخسر الحياة فقط ؛ بل ان الحياة قد خسرتها ، خسرت فيها المربية الكبيرة للاجيال الضائعة ، والأم الحنون فى مجتمع سادت فيه المادة ، والزوجة الكريمة والشريكة الفاضلة ، فقد شُغلت المرأة بالعمل وتحصيل المتاع الرخيص ، ولقد خسر العالم الغربى اذا خسرها الاسرة السليمة المتزنة . ولقد شعرت لجنة حقوق الانسان التابعة للامم المتحدة بهذا الانحراف الخطير ، حيث انها نشرت مشروعا لقانون جديد على الدول الاعضاء لإزالة التمييز ضد النساء بمناسبة عام المرأة العالمى (سنة ١٩٧٥) خلطت فيه الحق بالباطل .

ومن الحق الذى جاء فيه ـ والذى يعتبر انعطافا خطيرا فى الفكر العالمى الحديث ـ ان اى مشروع لوضع القوانين فى بلاد العالم كى ينظم حياة المرأة ويحدد علاقتها بالرجل يجب ان يراعى الواجب الاساسى للمرأة فى الحياة الاجتماعية ، وهى الامومة وتربية الاطفال ، وتهيئة الجو السعيد لانشاء البيت السعيد .

جاء ذلك بعد ان دلت الاحصائيات الكثيرة فى العالم على خطورة وضع المرأة فى ظل تحطيم الاسرة والامومة ، بعد تلك الحرية الجنسية الواسعة التى عصفت بالاخضر واليابس ، وبعد ذلك الانحراف وراء الشهوات البهيمية التى شجعها وخطط لها شياطين الرجال منذ القرن التاسع عشر .

لقد كانت المرأة فى الغرب ذليلة مهانة مستعبدة ، الدين النصرانى الذى يدين به العالم الغربى يرى ان المرأة ينبوع المعاصى وأصل السيئة والفجور ، ويرى ان المرأة للرجل باب من ابواب جهنم من حيث هى مصدر تحركه وتحمله على الاثام ، ومنها انبجست عيون المصائب الانسانية جمعاء .

وترى النصرانية أن العلاقة بالمرأة رجس فى ذاتها وترى أن السمو لايتحقق الا بالبعد عن الزواج .

مجتمع يدين بهذه النظرة المقيتة لايمكن ان ينصف المرأة ويضعها فى

موضعها اللائق بها ، ولا يمكن ان ينظر اليها نظرة تكريم .

فى بريطانيا فى القرن الثامن عشر اى قبل (١٨٠) سنة تقريبا كان الرجال يبيعون زوجاتهم الى ان صدر قانون يحرم ذلك فى عام ١٩٣٠ .

فلما جاءت النهضة الحديثة فى اوروبا ، وقامت الطفرة الصناعية التى غيرت شكل الحياة الاجتماعية ، أدار المجتمع ظهره للكنيسة ، واخذ المتحررون ينادون بالحرية فى عالم ظالم - انتقلت المرأة فيه من استعباد الى استعباد .

فبإسم حرية المرأة وتحررها استخدم الرجال المرأة مصيدة لجمع المال ، ومطية لتحصيل المتعة واللذة .

وقد ثارت المرأة فى السويد واخذت تطالب بمنع استغلال المرأة فى الدعاية التجارية ، ونحن اليوم نرى كيف تستغل المرأة فى الدعاية للمنتوجات والسلع المختلفة ، ولقد استعان منتجو السيارات العالميون فى معرض اقيم لعرض احدث ما توصلوا اليه فى صناعة السيارات فتيات وهن شبة عاريات وذلك بقصد تنشيط حركة الاقبال .

ولقد بدأت حتى أفجر الممثلات فى الغرب يشعرن بسقوط المرأة امام قدمي الرجل ونفسيته الجشعة ، فقد نشرت جرائد العالم فى العام الماضى ان ممثلة فرنسية بينما كانت تمثل مشهدا عاريا امام الكاميرا ، ثارت ثورة عارمة وصاحت فى وجه الممثل والمخرج قائلة : أيها الكلاب ، انتم الرجال ، لاتريدون منا النساء إلا اجسادنا ، حتى تصبحوا من اصحاب الملايين على حسابنا ، ثم انفجرت باكية .

لقد استيقظت فطرة هذه المرأة فى لحظة واحدة ، على الرغم من الحياة الفاسدة التى تغرق فيها . استيقظت لتقدم الدليل القاطع على المأساة الكبرى التى تعيش فيها المرأة التى قالوا : انها متقدمة ومتحضرة ومتمدنة فى البلاد التى نقول انها متقدمة ومتحضرة وراقية .

ولا احب ان انتقل عن هذا الموضوع حتى أبين الاكذوبة القائلة بأن الكبت الجنسي ليس له علاج الا بالخلطة بين الجنسين . ويزعمون أن الخلطة توصل المتخالطين من الرجال والنساء الى حالة ينعدم فيها هذا الكبت .

والجواب ان مايشاهده المارون فى ديار الغرب فضلا عن المقيمين فيه ، ان المخالطة هناك لم تزد الامر الا اشتعالا . الاختلاط لم يحل مشكلة الكبت الجنسى ، وانما فتح باب السعار الجنسى .

وانا اقول إن هذا لايحتاج الى دليل ، فقد اصبح هذا أشهر من أن يستدل عليه ، فقد تواتر بالمشاهدة ، وبما ينقله القادمون ، وبما تكتبه الصحف والمجلات ، ولقد بلغ السعار الجنسى حدا ، اصبحت المرأة فى مدن الغرب لا تأمن ان تسير على قدميها فى ساعات الليل ، بل قد تخطف فى وضح النهار ، ومع ذلك فالزنا مباح ، ونوادى الفجور ونوادى العراة تملأ المدن والضواحى .

ثم هب ان بعض الذين يعيشون هناك اصبحوا هناك لايتأثرون برؤية الجنس الاخر ، ولا تثور عاطفتهم وان رأوا الاجساد العارية والجمال الفتان ، أترى هذا الوضع صحيحا ؟!

ألا يصبح هذا مرضا يحتاج الى علاج ، وهو المرض الذى يسمى بالبرود الجنسي .

والافراد الذين يصابون بالبرود الجنسى ، والمجتمعات التى تصاب به ـ تبتكر من أفانين الشذوذ ما تستثير به العاطفة الباردة ، فينتشر هناك اللواط والسحاق ، وأنماط لاتعرف ، كل ذلك بحثاً عن طريقة جديدة تثير العواطف الخامدة ، والشهوة النائمة ،

إن الطريقة التى عالج بها الإسلام ما اودعه الله فى فطرة الرجل والمرأة من ميل كل منهما الى الطرف الاخر يتمثل فى قول الرسول صلى

الله عليه وسلم : « يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء »[١] .

ان علاج ما اسموه الكبت لا يكون بالانطلاقة الحيوانية بلا معيار ولا ضابط العلاج يكون بمنهج سليم فى هذا الامر يشبع العاطفة المشبوبة ، ويصون كرامة الرجل والمرأة ، ويقوى الأواصر والروابط الكريمة ، وينمي الفضيلة ، ويحفظ الحياة ، وهو الزواج ، فإن لم يستطع فيوجه طاقته الى العبادة والطاعة ، حتى يغنيه الله من فضله .

المرأة ودعاة الإسلام

لقد وضحنا فيما سبق موقف ادعياء التقدم ، بَيَّنا ان هؤلاء يدَّعون شيئا لا حقيقة له ، ويدعون التقدم وهم فى الحقيقة متأخرون ، يَدْعون الى الظلم والفسق والفجور باسم الحرية والتقدم .

فماذا عن دعاة الإسلام ؟

إن دعاة الإسلام لايحكّمون آراءهم فى هذه القضية ، ولا فى أى قضية قال الله فيها قولاً ، وحكم فيها حكما ، شعارهم الذى يرفعونه دائما قوله جل وعلا ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾[٢] .

وشعارهم قوله تعالى : ﴿ إنما كان قولهم إذا دُعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا ﴾[٣] ، وشعارهم قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدي الله ورسوله ﴾[٤] . ولذلك فهم لا يحكِّمون اهواءهم بل كلام العليم الخبير الحكيم ، ولايحكمون لصالح الرجل ضد مصلحة المرأة ، ولا لمصلحة المرأة ضد مصلحة الرجل ، ذلك ان الله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

---

(١) حديث صحيح رواه الستة والإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود . « الناشر »
(٢) سورة الأحزاب : ٣٦ .
(٣) سورة النور : ٥١ .
(٤) سورة الحجرات : ١

الرجل والمرأة فى ميزان الإسلام جناحان لاتقوم الحياة الانسانية ولا ترقى الا فى ظل عملية تنسيق ومواءمة بينهما ، فالله خلق المرأة للمهمة ذاتها التى خلق من اجلها الرجل ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون[1] وأناط السعادة بتحقيق كل من الرجل والمرأة لهذه المهمة ، والتعاسة والشقاء بالاعراض عنها ، ﴿ فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ، ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾[2] ،

حرية الرجل والمرأة

إن الإسلام الزم الرجل والمرأة بالعبودية لله الواحد الاحد فى صورة الخضوع لمنهجه ودينه ، وهذه العبودية هى اعظم مراتب الحرية ، فالانسان من خلال توجهه لله وعبادته له ، يتحرر من كل سلطان ، فلا يوجه قلبه ولا يطأطىء رأسه الا لخالق السموات والارض ، فالشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب كلها مخلوقات معبدة مربوبة خلقها الله لمنفعتنا لا لنعبدها .

والإنسان فى الإسلام يتحرر حتى من سيطرة الهوى وسلطان الشهوة ، فالذى يسيطر على ضميره ودخيلته انما هو سلطان الشرع ، وهو يستبق سلطان الهوى اذا عارض سلطان الشرع ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى ﴾[3] .

إذن هى حرية فى صورة العبودية ، ولا يمكن للبشرية أن تتحرر إلا

---

(١) سورة الذاريات : ٥٦ .

(٢) سورة طه : ١٢٣ ، ١٢٤ .

(٣) سورة النازعات : ٤٠ : ٤١ .

بهذه العبودية ، إن الحرية فى غير الاسلام تصبح حرية جوفاء لا معنى لها ، بل هى العبودية المذلة المهينة ، وان بدت فى صورة الحرية . ان الخضوع للزعماء والرؤساء والمناهج والقوانين والنظم وما تحبه النفس بعيداً عن تشريع الخالق إنما هو عبودية وأي عبودية .

إن الحرية الغربية التى يريدنا دعاة التقدم أن نمضي اليها حرية جوفاء . الحرية كلمة رنانة ولكن لا مضمون لها ، ولا محتوى ، ويفسرها كل قوم بحسب ما يشتهون ، وقد نادى بها اليهود لتحطيم المجتمعات الانسانية . والحرية بغير مضمون وبغير ضوابط ولا حدود تنقلب الى سلاح فتاك يعصف بأمن الناس وحريتهم الحقة . جاء فى البروتوكول الأول من بروتوكولات حكماء صهيون : (لقد كنا أول من صاح فى الشعب فيما مضى بالحرية والاخاء والمساواة) ، تلك الكلمات التى راح الجهلة فى انحاء المعمورة يرددونها بعد ذلك دون تفكير او وعي . . . ، ان نداءنا « بالحرية والمساواة والاخاء » اجتذب الى صفوفنا من كافة اركان العالم ، وبفضل اعواننا ـ أفواجا بأكملها لم تلبث ان حملت لواءنا فى حماسة وغِيرة ، وكانت هذه الكلمات ـ فى ذلك الوقت ـ تسيء إلى الرخاء السائد لدى المسيحيين ، وتحطم سلمهم وعزيمتهم ووحدتهم ، عاملة بذلك على تقويض دعائم الدولة ، وأدى ذلك إلى انتصارنا) .

إن هذه الحرية التى مهد لها وأرادها شياطين اليهود حرية جوفاء لايمكن ان تحقق للمنادين بها والساعين اليها إلا مزيدا من الحيرة والضياع . أما الحرية التى جاء بها الاسلام ، وهى التى جاءت معنونة باسم العبودية لله فهى الحرية الحقة التى ثبت صلاحها ، بل ان الحرية فى الاديان المحرفة خير من هذه الفوضى التى جاء بها التقدميون ، وهى أخشى ما يخشاه اليهود . يقول البروتوكول الرابع من بروتوكولات حكماء صهيون : (الحرية قد لاتنطوى على أى ضرر ، وقد توجد فى الحكومات وفى البلاد دون ان تسيء الى رخاء الشعب ، وذلك اذا قامت

على الدين والخوف من الله والاخاء بين الناس المجرد من فكرة المساواة التى تتعارض تماما مع قوانين الخليقة ، تلك القوانين التى نصت على الخضوع . والشعب باعتناقه هذه العقيدة سوف يخضع لوصاية رجال الدين ويعيش فى سلام ، ويسلم للعناية الإلهية السائدة على الارض ، ومن ثم يتعين علينا أن ننزع من أذهان المسيحيين فكرة الله والاستعاضة عنها بالارقام الحسابية والمطالب المادية) .

لاظلم ولا استبداد

فى الاسلام ليس هناك مجال كى يظلم الرجل المرأة ، لان الرجل لايحكم بهواه ، بل هو محكوم بشريعة الله كما أن المرأة محكومة بشريعة الله .

وتحقيق الخير فى المجتمع الاسلامى يتوقف على فقه الشريعة التى تحكم الرجل والمرأة ، ثم تنفيذ هذه الشريعة فى حال رضى الطرفين او عدم رضاهما ، وهذا ينطلق من تصور المسلم للقضية ، وقد عبر الله عن هذا بقوله : ﴿ عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم ، والله يعلم وأنتم لاتعلمون﴾[1] .

مصدر الخطأ

ويحق لنا أن نتساءل عن السبب الذى من أجله تأخرت المرأة المسلمة ، وعن سبب الظلم الواقع عليها فى ديار المسلمين .

السبب فى ذلك ان كثيراً من الاوضاع فى ديار المسلمين بعيدة عن الاسلام ، فى شئون السياسة والاقتصاد والتعليم والاجتماع ، وبسبب هذا البعد عن الاسلام نشأت اوضاع فاسدة .

---

(١) سورة البقرة : ٢١٦ .

إن الظلم الواقع على المرأة فى ديارنا كالظلم الواقع على الرجل سواء بسواء ليس سببه الاسلام الذى ندين به ، بل سببه البعد عن الاسلام ومحاولة فصل الدين عن الحياة ..

لا نسـوغ الأخطـــاء

إننا لانتعامى عن الاخطاء ، ولا نسوغها ونفلسفها ، هناك ظلم حاق بالمرأة ، وأوضاع فاسدة تحيط بها ، هناك من العلماء والعوام فى ديارنا من يرى ان المرأة لا يجوز ان تتعلم ، ولا يجوز ان تخرج من بيت والدها إلا إلى بيت زوجها ، والخرجة الاخرى لا تكون إلا إلى القبر ، هناك من يرى ان المرأة ليست جديرة بالتقدير والاحترام . ، هناك من يكلف المرأة فوق طاقتها ولا يرحم ضعفها ، هناك الاباء القساة ، والازواج الجهلة ، الذين يضربون بناتهم وزوجاتهم ضرب غرائب الإبل ، نحن ندرك ذلك ولانتعامى عنه ، ولكننا نعلم ان هذا مرض من أمراض كثيرة تحيط بالامة الاسلامية ، فى رجالها ونسائها واطفالها ، ونحن نحمد عمل كل من خاض غمار المجتمعات الاسلامية لتقويم المعوج واصلاح الفاسد ، وتسديد المتجه إلى الحق ، ولكن لا نريد علاج الخطأ بخطأ آخر ، ولا نريد ان ننتقل من افراط الى تفريط ، ومن ضلال الى ضلال ، لانريد ان نبقى هكذا مرة الى اليمين ومرة الى الشمال من غير ضابط ولا معيار ، نحن نعلم ان فى اتباع الإسلام الخير الذى اصلح الحياة من قبل ، ورحم الله الامام مالك حيث يقول : (لايصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به أولها) .

المرأة فى المجتمع الإسلامى

إن الذى يعايش المسلمين ، ويعرف الاسلام يدرك أن المرأة المسلمة

تتبوأ فى المجتمع الاسلامى مكانة عالية . مكانة تحفظ لها كرامتها ، وتحفظ انسانيتها ، وتصون عفافها .

الإسلام لا يعتبر المرأة جرثومة خبيثة كما اعتبرتها اليهودية والنصرانية . الاسلام يقرر الحقيقة الازلية التى تزيل الهوان الذى وصمت به الاديان المحرفة المرأة . الاسلام يقول إن المرأة خلقت من الرجل ، وان خلق المرأة نعمة ينبغى ان يحمد الرجال ربهم على ايجادها ﴿ ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾[1] ﴿ ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء ﴾[2] .

والمرأة فى ميزان الاسلام كالرجل ، فرض الله عليها القيام بالتكاليف الشرعية ، وهى تحمد اذا استجابت لأمر الله ، وتذم إن تنكبت الصراط السوى : ﴿ من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ، ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ﴾[3] .

﴿ فاستجاب لهم ربهم انى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض ﴾[4] .

واقرأ قوله تعالى : ﴿ إن المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، والقانتين والقانتات ، والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات ، والخاشعين والخاشعات ، والمتصدقين والمتصدقات ، والصائمين والصائمات ، والحافظين فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة واجراً عظيماً ﴾[5] .

---

(١) سورة الروم : ٢١ .

(٢) سورة النساء : ١ .

(٣) سورة غافر : ٤٠ .

(٤) سورة آل عمران : ١٩٥ .

(٥) سورة الأحزاب : ٣٥ .

والتناصر فى المجتمع الاسلامى ، والقيام بالاعباء الإجتماعية يشمل الرجال والنساء : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله ، إن الله عزيز حكيم ﴾[1] .

وإيذاء المؤمنات فى المجتمع الاسلامي كإيذاء المؤمنين يمقت الله صاحبه ، وهو عمل يستوجب العقوبة فى الدنيا والآخرة : ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانًا وإثما مبيناً ﴾[2] .

وقال فى الذين عذبوا المؤمنين والمؤمنات : ﴿ إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق ﴾[3] .

والمرأة فى المجتمع المسلم لها ان تتعلم ما ينفعها من علوم الدنيا والآخرة ، وما خبر تعليم الرسول صلى الله عليه وسلم للنساء ، وحضور النساء الجمعة واستماعهن لخطب الرسول صلى الله عليه وسلم . بسر ، وقد ثبت ان الشفاء بنت عبدالله القرشية علّمت ام المؤمنين حفصة الكتابة ، وكان ذلك باقرار الرسول صلى الله عليه وسلم إياها على ذلك[4]

وقد صحح الشيخ ناصر الدين ايضا بعض طريق حديث (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) اى بزيادة لفظ (مسلمة)[5] .

وجعل الاسلام للمرأة ان ترث وتملك وتتصرف فى مالها فى الوقت الذى لازالت بعض دول أوربا لم تعطها هذا الحق بعد .

وجعل من حق المرأة ان تُستأذن فى امر زواجها ولها الحق فى ان

---

(١) سورة التوبة : ٧١ .

(٢) سورة الأحزاب : ٥٨ .

(٣) سورة البروج : ١٠ .

(٤) راجع سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ ناصر الدين الألبانى حديث رقم ١٧٨ .

(٥) أنظر تعليق الشيخ ناصر على كتاب حقوق النساء لمحمد رشيد رضا ص ١٩ .

ترفض ، وليس لولى أمرها أن يلزمها بالزواج ممن لاترضاه زوجا .

فقد روى أحمد والنسائى من حديث ابن بريدة وابن ماجة من حديث عبدالله بن بريدة عن ابيه قال : جاءت فتاة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت ان ابى زوجنى من ابن اخيه ، ليرفع بى خسيسته .

قال : فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمر اليها ، فقالت : « قد اجزت ما صنع ابى ، ولكن اردت أن أعلم النساء انه ليس إلى الآباء من شيء » تعنى انه ليس اكراههن على التزوج بمن لا يرضينه .

وجعل الاسلام للمرأة حقوقا على زوجها ، كما جعل للزوج حقوقا عليها ، قال تعالى : « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة »(١) .

والمراد بهذه الدرجة القوامة التى نص الله عليها فى قوله : ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم ﴾(٢) .

التفاضل بين الرجل والمرأة

تعرضت هذه الآية من كتاب الله : ﴿ بما فضل الله بعضهم على بعض ﴾ لنقد شديد من خفافيش الظلام وأدعياء التقدم ، وقالوا ظلم للمرأة وإهانة لها ، وقد ضل هؤلاء الذين ينسبون لله الظلم وخاب سعيهم ، إن القرآن يقرر هنا حقيقة . وهى ان البيت كالمجتمع الأول ، كى يحسم الامور إذا لم يحصل الاتفاق ، وقد جعل الله ذلك للرجل لامرين :

الأول : لانه الذى يتولى الانفاق على البيت والمرأة .

---

(١) سورة البقرة : ٢٢٨ .
(٢) سورة النساء : ٣٤ .

والثانى : لان الله فضله ، وهذا التفضيل هو تلك الخصائص التى ميزه الله بها كى يؤدى دوره ويقومَ بواجباته .

والذين لا يثبتون فروقا بين الرجل والمرأة يتعامون عن الحقيقة ، والذين لايرون أن الرجل أقدر على القيادة عماهم اكثر واشد ، « لقد اثبت علم الاحياء ان التكوين الجسمى فى المرأة غيره فى الرجل ، فالتكوين الجسمى فى المرأة ، وما يكون فيها من غدد تعدها لخصائص الأنوثة فى دقة الخاصرة وبروز الثديين ، ولين الجانب ، ورقة العاطفة ، ونعومة الملمسَ ، وعذوبة الحديث ، وغلبة الحياء ، وكثرة الخجل ، وقلة الجلد ، وضعف التحمل .

والمرأة يأتيها فى كل شهر ما يأتى النساء من المحيض فيسوء الهضم ، وتصاب بالآلام فى البطن ، وصداع فى الرأس ، وتبلد فى الحس ، وضعف فى التفكير ، وانفعال فى النفس . . . وتحمل فتصاب فى الشهور الأولى بغثيان وتقيوء وصدود عن الطعام والشراب ، وانحراف فى المزاج وكسل وهبوط ، وتظل آلام الحمل العادى معها تسعة أشهر ، وتشتد وطأتها فى الشهور الاخيرة ، فلا تقوى على الكثير من الحركة ، وتشكو آلاماً فى البطن والصدر والرأس وتحس بضيق عام يأخذ بخناقها ، ويفسد مزاجها ، ويعكر صفو عيشها ، وتضع فتأتى فترة الرضاعة ، وتتعرض فى الاسابيع الاولى لكثير من الامراض ، وتظل حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة ضعيفة البنية ، يتحول ما تأكله الى لبن يروى وديعة الفطرة ، ويغذى ولدها ، وتصرف جل وقتها فى حضانته ورعايته ونظافته »[١] .

ولقد اكتشف العلم الحديث ان الخالق جل وعلا زود كلًا من الرجل والمرأة بخصائص تتوافق والمهمة التى يقوم بها ، ففى مقال نشرته مجلة (الديار)[٢] تقول (سميرة صايغ) كاتبة المقال : « هناك تباين بين

---

(١) نظام الأسرة : لمناع القطان ص ٢٠ .

(٢) مجلة الديار عدد (١٠٦) بتاريخ ١٩٧٥/١١/٥

انفعالات دماغ المرأة ودماع الرجل ، وأن الاقسام النشطة فى دماغ المرأة تختلف عن الاقسام النشطة فى دماغ الرجل ، على الرغم من محاولات المرأة التشبه بالرجل » وتقول : « المرأة المعاصرة ترفض النظرية القائلة بأن هناك تباينا بين الرجل والمرأة من جهة المقدرة (الفزيولوجية) . ومن جهة الكفاءات الذهنية ، واليوم تبرز نظرية بل اكتشاف علمى يؤكد أن هناك فعلا أختلاف بين دماغ الرجل ودماغ المرأة من حيث الكفاءات الذهنية الناتجة عن ذلك الدماغ اى بكلمة اخرى هناك (دماغ ذكر) و(دماغ أنثى) .

ويقسم العلماء الدماغ البشرى الى قسمين : قسم أيمن ، وقسم أيسر ، ويؤكدون أن القسم الايمن لدى الرجل هو اقوى منه لدى المرأة ، ماذا يعنى هذا ؟

الدماغ هو عضو مؤلف من أنسجة رخوة تتشعب فيها الاوعية الدموية الرفيعة والاعصاب التى تحمل الاحساسات من الخارج الى الداخل ، وتحمل اوامر الدماغ الى سائر الاعضاء فى الجسم كى تقوم بوظيفتها .

هذا من الناحية التكوينية للدماغ ، اما من ناحية العمل (الفزيولوجى) للدماغ فقد تبين للعلم الحديث أن الدماغ يقسم إلى مناطق ، وكل منطقة تقوم بمهمة أو مهمات معينة » .

وقد تأكدت هذه النظرية مؤخرا بعد ان تمكن العلماء من تصوير الدماغ وهو يقوم بوظائفه المختلفة .

وذكرت الكاتبة أن أبرز من عمل فى هذا الحقل هو الدكتور (دافيد انغمار) السويدى الذى يعمل فى جامعة (لوند) فى السويد .

استعمل الدكتور (انغمار) غاز (كزينون) الذى يذوب فى الدم ويولد اشعاعات (غاما) وذلك لتصوير الدماغ ، وهو يقوم بمهمات مختلفة .

فهو يحقن الانسان ببعض (الكزينون) الذى يذوب ، وينتقل عبر الاوعية الدموية الى الدماغ ، وتنتقل صورة مايحدث فى الدماغ عبر (٣٢) سماعة مثبته فى انحاء مختلفة من الرأس الى (كومبيوتر) يقوم بتحليل تلك الصورة ، وتحديد نوعية العمل الذى يقوم به الدماغ فى تلك اللحظة ، والركن الذى يصدر عنه ذلك العمل .

ولاحظ الدكتور (انغمار) ان كل عمل يقوم به الدماغ يصدر من مكان مختلف من الدماغ . . . ، واذا ازدادت كثافة ذلك العمل ، ازدادت الرقعة العاملة من الدماغ دون ان يتغير مكانها .

وأمكن الان تحديد الاماكن التى تقوم بشتى انواع النشاطات ، فهناك ركن خاص بالقوى النظرية والسمعية وتلك الناتجة عن اللمس . ، بينما يتركز الاحساس الناتج عن طريق الشم فى مكان آخر ، إن للتفكير زاويه ، وللقدرة على النطق زاوية اخرى ، وكذلك القدرة على القراءة والحساب ، وضبط حركة الجسم العضلية ، وتوجد زاوية للانفعال النفسى ، اى للغضب والعنف ، أو العطف والحنان .

وانطلاقا من ذلك كله تبين للعلماء مؤخراً أن الشطر الايمن من الدماغ يعمل بصورة أنشط لدى الذكر ، بينما يعمل الشطر الايسر لدى الانثى بنشاط أكثر من الشطر نفسه لدى الذكر .

هذا وتجدر الإشارة الى انه فى الشطر الايمن تتركز المناطق الخاصة بالاحساس السمعى باللحن والاصوات ، وتلك الخاصة بفهم الرسوم وشمول الرؤيا ، وتقدير المسافات ، والعلاقات بين الرموز .

وهذا مايفسر إذن تفوق الرجل فى الرياضيات والهندسة والموسيقى ، أى فى المجالات النظرية التى تتعامل بالرموز ، وعلاقة بعض تلك الرموز ببعضها الآخر .

أما الشطر الايسر فتتركز فيه القوى السمعية الخاصة بالتقاط الكلمات والالفاظ وحفظها وكذلك قراءة تلك الكلمات والأحرف ،

ومن هنا نشأ تفوق المرأة فى المجالات الادبية ، وفى التعامل مع الاشياء الملموسة .

سنريهم آياتنا

ويحق لنا هنا أن نردد قوله تعالى : ﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾[1] فالله تعالى ذكر فى كتابه قوله : ﴿فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى﴾[2] . فجعل شهادة امرأتين بشهادة رجل فيما يتعلق بأمور المال ، وها هى البحوث الحديثة التى تغلغلت إلى أعماق عقل المرأة وعقل الرجل توضح لنا شيئاً من سر هذا التشريع الربانى .

إن هذا التشريع منسجم مع وظائف عقل كل من الرجل والمرأة والله العليم الخبير يشرع لنا ما يحفظ الأموال ، وفى حالة الحاجة إلى شهادة المرأة بشهادة امرأتين ، ويذكر العله﴿ أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى﴾[3] مما يدل على أن استيعاب الرجل لأمور المال ورسوخها فى فكره أكثر واقوى منها عند المرأة .

لا ضير على المرأة

لاضير على المرأة ان تكون على مابينا ، فإن حكمة العليم الخبير اقتضت ان تكون كذلك لتؤدى دورها المرسوم فى الحياة ، فإن المرأة تفضل الرجل فى تدبير شئون البيت وتربية الولد والقيام عليه ، بما جبلت عليه من الحنان والرقة ومن التركيب العضوى الذى يعينها على وظيفتها مثل ضعف جهازها العصبى الذى يقلل من احساسها بآلام الحمل والوضع .

---

(١) سورة فصلت : ٥٣ .

(٢) سورة البقرة : ٢٨٢ .

(٣) سورة البقرة : ٢٨٢ .

والمرأة تخشى كثيرا أن تفقد انوثتها ، التى هى أخص خصائصها وتفزع كثيرا اذا ماضمر ثدياها ، أو نبت لها شعر فى وجهها ، أو خشن صوتها ، أو غير ذلك مما هو من خصائص الرجال ، وخوض المرأة فى المجالات التى هى من خصائص الرجل يفقدها كثيرا من خصائصها التى تبكى عليها كثيرا إذا فقدتها .

ولقد ظهر فى الغرب طبقة جديدة من النساء منذ أواخر القرن الماضى ، أطلق عليهن أحد الكُتّاب الانجليزى إسم (الجنس الثالث)[1] ، هذه الطبقة تمثل المترجلات من النساء اللواتى يأبين الا الخروج على فطهرتهن ، والزج بأنفسهن فى ميادين الرجال .

لقد فقد هذا الصنف من النساء انوثتهن فلم يعدن نساء ، ولم يدخلن فى عداد الرجال ، ذلك أنهن يخالفن الرجال طبيعة وتركيباً ، ويخالفن النساء ، وظائف واعمالاً ، وقد درس الكاتب الانجليزى « أحوالهن درساً مدققاً فوجد أنهن يتركن الزواج ، وبانتزاعهن أنفسهن من وظائف الأمومة وما يتبعها قد تغيرت إحساساتهن عن إحساسات بنات جنسهن ، وصرن فى حالة من الكآبة تشبه أعراض الماليخوليا » .

لم يبلغ السيل الزبى

لم يبلغ السيل الزبى بعد فى البلاد العربية والاسلامية ، ولايزال هناك سبيل للعلاج ، إذ لم تغرق المرأة فى ديارنا كما غرقت المرأة فى بلاد الغرب ، حتى النساء اللواتى نسميهن متحررات فى ديارنا لا يردن الحرية التى تتردى فيها نساء الغرب ، فهذه طبيبة (متحررة) تقول فى مقابلة لها مع جريدة السياسة الكويتية : « المرأة هى المرأة فى نقطة واحدة ألا وهى رسالة الامومة التى خلقها الله من اجلها »[2] .

وفى مقابلة للسياسة مع سكرتيرة اردنية (متحررة) تقول هذه المرأة[3] : « لا أرغب فى أن اخوض فى فلسفة الخلق والخالق ، فالمرأة

---

(١) راجع « حصوننا مهددة من داخلها ص ١١٢ » .

(٢) جريدة السياسة العدد ٣٨١٢ ، ١٩٧٩/٤/١٩ .

(٣) جريدة السياسة العدد ٣٨١١ ، ١٨/ ٤/ ١٩٧٩

غير الرجل ، وان كان كلاهما لا يمكن ان يستغنى عن الاخر ، فالرجل دائب السعى والبحث عن المرأة ، والمرأة كذلك ، وكلاهما مكمل للآخر ، اى أن هناك ملك وملكة فى كل بيت » . وتقول : « فمن حق الملك أن يمارس صلاحيته ، وعلى الملكة ان تقوم بواجبات بيتها وأسرتها وتصون أركان هذه المملكة » .

وتقول : « وما المطالبة بالمساواة فى نظرى إلا بدعة وأنانية من المطالبات بها فى تصورى ، إنهن نساء فشلن فى كل شيء ، ولم يبق لهن شيء سوى شعارات جوفاء فارغة من كل مضمون » .

وها هى امرأة بلغت قمة (التحرر) فى عرف اهل هذا العصر ، فقد انتخبت هذه المرأة لتكون ملكة جمال لبنان لعام ١٩٧٩ ومع ذلك فهى تقول[١] : « المرأة وجدت لصالح الرجل منذ البداية ، وأى تطور حاصل لايغير من دورها الاساسى ، فهى ضلع آدم وجدت لاجله ولاجل سعادته » وتقول : « تطورت المرأة وانتقلت من المطبخ إلى مجلس النواب ، وحتى إلى الملكية ورئاسة الجمهورية . . . ، هذا الانتقال برأيى هو الخطأ بعينه ؛ لان المرأة وجدت من اجل مهمة اساسية ، واذا اختلفت هذه المهمة ، ولو نحو الافضل فإنما تفقد معناها وتخفف قيمتها ، أنا أفضل للمرأة ان تبقى امرأة ، وأفضل لها سلاح الانوثة على كل الاسلحة » .

ومع اننا لانوافق على كل ماورد فى كلام هؤلاء (المتحررات) عند أهل هذا العصر ، الا اننا أوردنا كلامهن كى نذلل على أن الفطرة لم تطمس عند النساء فى ديار المسلمين ، حتى عند اللواتى سرن فى طريق المرأة الأوروبية ، ولا زالت فيهن بقية من خير .

ومما يدل على ذلك تلك العودة إلى الاسلام التى نراها فى مختلف بلاد المسلمين ، تلك العودة الخيرة المصحوبة بالتدين العميق .

---

(١) جريدة السياسة بتاريخ : ١٩٧٩/٤/١٧ .

كلمـــة أخـــيرة

كلمة اخيرة اتوجه بها الى المرأة في ديارنا ديار المسلمين ، إنني أقول للمرأة حذار من التردى فى المنحدر الذى تردت فيه المرأة فى ديار الكفر ، وإذا كانت المرأة هناك لها بعض العذر لأنها لاتجد الدين الذى يحفظ لها حقها ، فما عذر المرأة فى ديار الاسلام وقد أنزل الله لها الدين الذى يحفظ لها كل ما تصبوا اليه المرأة العاقلة الواعية .

وأقول لها إن هناك جماعات كثيرة ـ تتاجر بقضية المرأة ، هناك جهات سياسية تستتر وراء حركة تحرير المرأة لتحقق اهدافا سياسية ، ومن قرأ كتاب (المعونات الامريكية السوفيتية) يدرك التخطيط البعيد للاستعمار الثقافى والاجتماعى .

ومن يعلم سير الاحداث فى مصر يعلم أن معركة قانون الاحوال الشخصية فى مصر يؤججها دوما نصارى متعصبون ابتغاء اضعاف مركز الاسلام . والشيوعيون فى ديارنا ينطلقون فى هذا المجال من قناعة سياسية وهى أن السيطرة على المرأة تعنى السيطرة السياسية على الجيل القادم . وأحب أن أنبه المرأة أنه ليس فى صالحها ولا فى صالح المجتمع التى تعيش فيه أن تحيا مع الرجل حياة مواجهة وصراع ، فقد قامت فى أوربا وأمريكا منظمات رجالية تدافع عن حقوق الرجال ضد تسلط المرأة ، لقد نتج عن دعوة المرأة الى التحرر والتسلط ردود فعل انطلقت بدون معايير وضوابط ، وبذلك تصبح الحياة صراعا ملتهبا بين الرجل والمرأة وليس فى هذا سعادة لاحد لا للزوج ولا للزوجة ولا للأولاد .

واريد أن أقول للمرأة جاهدي وناضلي فى سبيل اعلاء كلمة الله ، وسيادة الشريعة الاسلامية ، فإن فعلت فقد ناضلت لإقرار الحق الذى سيعود خيره عليك وعلى بنات جنسك وبنى جنسك أيضاً .

إنك إذا رفضت العودة إلى الاسلام والسير فى الطريق الذى اختطها فلن تكسبى شيئاً ، وستخسري كل شيىء .

إنك إن دعوت إلى غير الاسلام فستجدين الذين يقومون على دعوتك ويقودون تجمعاتك هم من الذين يتاجرون بقضيتك ، في العام العالمي للمرأة (١٩٧٥) أقيم في الكويت مؤتمر نسائي ، فماذا حقق هذا المؤتمر ، ومن الخبراء الذين أصدروا قراراته ؟

تقول مجلة المجالس في عددها (٢٣٦) ١٩٧٥/٣/٢٢ : وقد لوحظ بشكل جلي وواضح ان المرأة الكويتية غابت عن المؤتمر غيابا كاملا فلم يكن لها إلا وجود شكلي في الاحتفال) .

وتقول : (اما اعمال المؤتمر فقد أوكلت الى خبراء غير كويتيين ، ولم نجد بينهم خبيرة كويتية واحدة في مشاكل المرأة) .

وتذكر المجلة أن محتوى المؤتمر كان هزيلا اغفل المرأة ذاتها .

وأقول للمرأة في ديارنا : ليست حقوق المرأة مجرد خطابة وكتابة ومقابلات وسفرات وحفلات ، ان العمل الجاد البناء هو الميدان الذي تستطيع ان تثبت فيه المرأة كفاءتها ، إننا نريد النساء اللواتي يبنين الاجيال فيصنعن بهم التاريخ ، نريد المرأة التي تتحسس آلام المجتمع واحزان اليتامى والثكالى والفقراء والمعوزين ، المرأة التي تشعر بمأساة الامة ومصائبها ، التي تدفع من مالها ، وتنفق مما أعطاها الله ، لانريد المرأة مجرد دمية ، تقف في المجامع والمحافل متعطرة متزينة فيشد الحاضرين جمالها ، ولا يفقهون مما تقوله شيئاً .

لانريد المرأة في بلادنا مجرد ببغاء تردد ما يقال ، وتلبس كل ما يصنع لها ، وتملأ فكرها بكل ما يكتب ، وتنساق وراء كل نزوة ، وتجري وراء كل بريق خادع .

نريد ان يكون للمرأة شخصيتها المتميزة في العقيدة والفكر والسلوك واللباس ونمط الحياة .

وخلاصة القول أننا : نريد المرأة المسلمة ، التي تزن الأمور بميزان السماء ، وتنظر الى الحياة من خلال القرآن ، وتنظر وهي في الدنيا الى الدار الاخرة ، وتتخذ من الاسلام منهجا وطريقا ، ومن الرسول صلى

الله عليه وسلم اسوة وقدوه .

هذه المرأة التى نريد ، وهى التى تستطيع ان تحقق فى واقع الحياة الشيء الكثير لنفسها ولغيرها .

والنماذج التى نريدها سيكون لها شأن عظيم بحول الله وقوته والله المستعان .

الرسالة الثالثة

نهاية المرأة الغربية
بداية المرأة العربية

للشيخ عبد الله بن زيد آل محمود

نهاية المرأة الغربية ...

بداية المرأة العربية

تأليف
الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود
رئيس المحاكم الشرعية والشئون الدينية بدولة قطر

نهاية المرأة الغربية . . . بداية المرأة العربية

لقد أفادت التجارب المشهود لها بعين الاعتبار والصحة أن خروج المرأة من بيتها هو عنوان خراب البيت وضياع العيال وانقطاع وشائج الألفة والمحبة بينها وبين زوجها مع فساد اخلاقها . وقد أخذ عقلاء النصارى يشكون الويلات على إثر الويلات من جراء فساد اخلاق البنين والبنات ، وذلك ان البنت الغربية متى بلغت ست عشرة سنة او ثمانى عشرة سنة خرجت من بيت اهلها وقد يخرجها اهلها حين تقبلها الاعمال ثم تتفق مع شاب يشاكلها وتعتزل معه يعملان ويأكلان وتمكث البنت بالسنة والسنتين لاتسأل عن اهلها ولايسألون عنها ولا ترغب فى الزواج الشرعى فإن تزوجت فإنها لاترغب فى ان تحبل ، لكون الحبل يعوقها عن الكسب كما ان الرجل لايرغب ان يحمل أعباء تكفل العيال والمطالبة بمؤنتهم ومؤنة امهم وأكثرهم يتمتع بالمرأة عن طريق الزنا ، واخذوا يتحاشون عن النكاح الشرعى تباعدا عن مسئولية نفقة العيال لعلم احدهم ان ولده ليس له بولد وان ابنته ليست له ببنت

لكون وشائج القرابة منقطعة فيما بينهم وعلى اثر هذا صاروا يرغبون فى اقتناء الكلاب يتسلون بها عن تربية الاولاد ولنسائهم معها مآرب اخرى . وعلى اثر هذا انصرف الشباب والشابات عن التعلم فى المدارس للصنائع وغيرها التى عليها مدار قوتهم ورقيهم وثروتهم حتى قل ماهم وانقرض نسلهم وتعطلت صنائعهم .

فهذه الحالة المزرية هى نهاية المدنية والحرية التى يفتخر بها الغرب حتى صاروا لايعدون الزنا جريمة لكونه بزعمهم من كمال الحرية التى تتمتع بها المرأة الا اذا زنى بها مكرهة او زنى بها على فراش الزوج مع العلم ان الزنا محرم فى شريعتهم ، ولا نقول انهم كلهم بهذه الصفة ، وانما نقول ان هذا هو الامر الغالب على اخلاقهم والعادة السائدة من بينهم والا فقد يوجد بيوت يلتزم اهلها العفاف والحشمة والقيام بخدمة المنزل وحسن التربية ورعاية حق الزوج واحترامه ، لكن مثل هذا قليل عندهم جدا ، ولايزال عقلاؤهم وكتابهم والكاتبات المفكرات من نسائهم ينحون بالملام وتوجيه المذام على سوء تربية نسائهم وفساد اخلاقهن .

إن المرأة لن تبلغ كمالها الحقيقى الا بالتربية الاسلامية التى تطبع فى قلبها ملكة محبة الفرائض والفضائل والتنزه عن منكرات الاخلاق والرذائل .

وإن من عوائدهم السيئة السائدة فيما بينهم كون الرجل اذا خطب امرأة سواء أكان صادقاً فى رغبته أو مخادعا ، فإنه يمارس التجربة معها ، ولا نقول فى شىء دون شىء بل فى كل شىء . . فيخلو بها حتى فى بيت أهلها وهم ينظرون اليهما ، وتسير معه مصاحبة له وتنام معه كفعل الرجل مع زوجته على حد سواء .

ثم يظهر وسائل الاغراء فيوهمها بغناه ثم يظهر لها حسن أخلاقه وقد يذكر لها ان حسابه فى البنك يبلغ كذا وكذا على سبيل الخداع . ولا يزال دأبه معها السنة أو السنتين على سبيل التجربة وبأسم انها

خطيبته ، حتى اذا التاط قلبها بحبه وسال لعابها على حصول ما يعدها ويمنيها به ، انصرف عنها وفارقها لتعلقه بأخرى غيرها فيفعل مع الثانية كما فعل مع الاولى من تنقله فى اللذات وتنوع المشتهيات ولعدم رغبته فى الزواج الشرعى تهرباً من تبعاته ومسئوليته .

الرجال قوامون على النساء

إن قضية المرأة بمقتضى دخولها مع الزوج بالنكاح الشرعى تعتبر بأنها قد دخلت فى العقد برضاها واختيارها على التزام رئاسة الزوج عليها بدون هضم ولا ضيم ولا اسقاط لها عن كرامتها ولا عن انسانيتها وقد سمى الله الزوج سيداً فى كتابه الحكيم فقال تعالى : « وألفيا سيدها لدى الباب »[١] كما سماها الله الصاحبة بالجنب وقد اثبت الله سبحانه القوامية للرجال على النساء فقال : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ، وبما انفقوا من اموالهم »[٢] ، وهذه القوامية وهذه السيادة هى المعنية بقوله : (بما فضل الله بعضهم على بعض) من كون الرجل اقدر من المرأة على الحماية والرعاية والكسب ، (وبما انفقوا من اموهم) اى بما بذل لها من المهر والنفقة عليها وهى المشار اليها بقوله : « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة »[٣] إذ ليس الذكر كالأنثى . فبعض العلماء قال أنه من اجل ضعفها ونقص رأيها فى تصرفها كما هو الغالب على أكثر طبائع النساء ، ولا ينفى هذا وجود بعض النساء الذكيات العاقلات اللاتى لهن حظ من القوة والكياسة وحسن التصرف والسياسة فكم من امرأة تفضل زوجها

---

(١) سورة يوسف : ٢٥ .
(٢) سورة النساء : ٣٤ .
(٣) سورة البقرة : ٢٢٨ .

فى العلم والعقل والذكاء والفطنة والقدرة على الكسب ، وهذه تعد من النادر الذى لايبنى عليه قاعدة لان النادر لاحكم له ، وانما الاعتبار بالاغلب والعادة السائدة من طبائع النساء ، والنساء كل القرون الطويلة والى حد الآن مهما بلغت احداهن من الذكاء والفطنة فإنهن

يعتقدون ويعرفن شدة حاجتهن إلى الرجال فى الرعاية والحماية والقيام بالكفالة والكفاية حتى ان النساء فى بعض الأمم يعطين الرجل المهور ويشاطرنه النفقة ليكن تحت رئاسته ورعايته ، للعلم بشدة حاجتهن اليه وكون رعاية الرجل بالمرأة على قدر حضوتها عنده وميله اليها ، وقد قيل : (مسكينة امرأة بلا زوج) وتدعى الأيم والأرملة بحيث تحيط بها الكآبة والمسكنة ، فالمرأة التى يأخذها الحرص على العمل للكسب أو على العلم والتعليم إلى أن يفنى زهرة شبابها بدون زوج ولا أولاد ، فإنها فى الغالب تندم فى آخر عمرها أشد الندم وتبدى الحسرة والأسف على ما فات من دهرها بدون زوج يؤنسها وبدون نسل يرثها ، وتذكر به بعد موتها .

زهره سبابها بدون زوج ولا اولاد ، فإنها فى الغالب تندم فى اخر عمرها أشد الندم وتبدى الحسرة والاسف على مافات من دهرها بدون زوج يؤنسها وبدون نسل يرثها ، وتذكر به بعد موتها .

لهذا يعد من الشطح والشطط وقوع هذا الجدال والصخب من انصار المرأة بالباطل حيث يطالبونها بالخروج من بيتها للعمل ويحسّنون لها ذلك مع معرفة كل عاقل بما ينجم عن هذا الشيوع من الاضرار والمفاسد الكبار واهمالها حقوق زوجها وتربية عيالها واصلاح شئون بيتها ، فهم يضرونها من حيث يريدون نفعها ويريدون جعلها بمثابة الانعام السائبة التى تسرح وترتع حيث شاءت كحالة المرأة الغربية على حد سواء . نريد حياتها ويريدون موتها .

أبتغى إصلاح سعدى بجهدى وهى تسعى جهدها فى فسادى

ولما تنبه اهل اوروبا إلى إصلاح شئونهم الاجتماعية وترقية معيشتهم المدنية وعرفوا فساد تربية نسائهم وفساد تعلمهن وان الادواء الاجتماعية والامراض المدنية ، قد ظهر أثرها بشدة على حضارتهم ، وصارت تهددهم بفساد احوالهم وقلة ما لهم وانقراض نسلهم وعيالهم وتقويض

دعائم صنائعهم وأعمالهم ، وقد ظهر أثر ذلك جليا فى الغرب بحيث دخل عليهم هذا الضعف وقلة النسل تدريجيا فلما عرف ذلك بعض كُتابهم وبعض الكاتبات الذكيات من النساء اخذوا يصرخون بفضل دين الاسلام ويتمنون الرجوع الى تعاليمه وتربية نسائهم عليه ودونك الشاهد المشاهد للواقع والحق ما شهدت به الاعداء ، ونحن نسوق بعض اقوالهم للاتعاظ بها وأخذ الاعتبار منها وخير الناس من وُعظ بغيره .

قال العلامة الانجليزى (ساموبل سمايلس) وهو من اركان النهضة الانجليزية « ان النظام الذى يقضى بتشغيل المرأة فى المعامل ، مهما نشأ عنه من الثروة فإن نتيجته هادمة لبناء الحياة المنزلية لأنه يهاجم هيكل المنزل ويقوض أركان الاسرة ويمزق الروابط الاجتماعية ويسلب الزوجة من زوجها والاولاد من أقاربهم وصار بنوع خاص لانتيجة له إلا تسفيل اخلاق المرأة اذ وظيفة المرأة الحقيقية هى القيام بالواجبات المنزلية ، مثل ترتيب مسكنها وتربية أولادها والاقتصاد فى وسائل معيشتها مع القيام باحتياجاتهم البيتية .

ولكن المعامل تسلخها من كل هذه الواجبات بحيث أصبحت المنازل غير المنازل وأضحت الاولاد تشب على عدم التربية وتلقى فى زوايا الاهمال وانطفأت المحبة الزوجية وخرجت المرأة عن كونها الزوجة الظريفة والمحبة اللطيفة ، وصارت زميلته فى العمل والمشاق ، وصارت معرضة للتأثيرات التى تمحو غالبا التواضع الفكرى والتوادد الزوجى والاخلاقى التى عليها مدار حفظ الفضيلة »[1] .

ونشرت جريدة (لاغوس ويكلى ركورد) نقلا عن جريدة (لندن ثروت) قائلة « ان البلاء كل البلاء فى خروج المرأة عن بيتها الى التماس اعمال الرجال ، وعلى اثرها يكثر الشاردات عن أهلهن واللقطاء من الاولاد غير الشرعيين فيصبحون كلاً وعالة وعاراً على

(١) دائرة المعارف ، فريد وجدى ٨/٦٣٩ .

المجتمع فإن مزاحمة المرأة للرجال ستحل بنا الدمار . ألم تروا أن حال خلقتها تنادى بأن عليها ماليس على الرجل وعليه ما ليس عليها ؟ »[٢] .

ونشرت الكاتبة الشهيرة (مس انى رود) فى جريدة (الاسترن ميل) . « لأن يشتغل بناتنا فى البيوت خير واخف بلاء من اشتغالهن فى المعامل حيث تصبح البنت ملوثة بأدران تذهب برونق حياتها الى الابد . الا ليت بلادنا كبلاد المسلمين فيها الحشمة والعفاف والطهار تتنعم المرأة بأرغد عيش تعمل كما يعمل اولاد البيت ولا تمس الأعراض بسوء نعم إنه لعار على بلاد الانكليزى ان تجعل بناتها مثلا للرذائل بكثرة مخالطة الرجال ، فما بالنا لا نسعى وراء ما يجعل البنت تعمل بما يوافق فطرتها الطبيعية من القيام فى البيت وترك اعمال الرجال للرجال ، وسلامة لشرفها »[١] .

ونشرت الكاتبة الشهيرة (اللادى كوك) بجريدة (الايكوما) وهذا نص المقالة : « إن الاختلاط يألفه الرجال وقد طمعت المرأة فيه بما يخالف فطرتها وعلى قدر كثرة الاختلاط ، تكون كثرة أولاد الزنا ، وهنا البلاء العظيم على المرأة فالرجل الذى علقت منه يتركها وشأنها تتقلب على مضجع الفاقة والعناء وتذوق مرارة الذل والمهانة والاضطهاد من الحمل وثقله والوحم ودواره ، اما آن لنا أن نبحث عما يخفف إذا لم نقل عما يزيل هذه المصائب العائدة بالعار على المدنية الغربية .

يأيها الوالدان ، لايغرنكما بعض دريهمات تكسبها بناتكما باشتغالهن فى المعامل ومصيرهن إلى ما ذكرنا .

علموهن الابتعاد عن الرجال . اخبروهن بالكيد الكامن لهن بالمرصاد . لقد دلنا الاحصاء على ان البلاء الناتج من حمل الزنا انه يعظم ويتفاقم حيث يكثر اختلاط النساء بالرجال ، ألم تروا أن اكثر

---

(٢) ص ٤٨١ م٤ من مجلة المنار .

(١) نشرت فى مقالة عنوانها الرجال والنساء ص ٤٨١ من مجلة المنار ٤ .

أمهات أولاد الزنا هن المشتغلات فى المعامل والخادمات فى البيوت ، ولولا الاطباء الذين يعطون الادوية لاسقاط الحمل لرأينا اضعاف ما نرى الآن .

لقد ادت بنا هذه الحالة الى حد من الدناءة لم تكن تصورها فى الامكان حتى أصبح رجال مقاطعات بلادنا لايقبلون المرأة زوجة شرعية ، وهذآ غاية الهبوط بالمدنية . انتهى »[٢] .

وإنما سقنا هذه المقالات التى هى بمثابة الشهادات لاقناع الشباب والشابات المفتونين بتقليد أوروبا فى عاداتها وفساد اخلاقهن والسير على منهاج اعمالها فى التساهل فى الفسق كدأب المتفرنجين فى التسليم للأمم القوية والتقليد لها .

وقد قلنا فى رسالة الخليج فى منع الاختلاط[١] : إن هذا الاختلاط الذى ننصح بمنعه وعدم اقراره انه يفضى بأهله الى أشر غاية واسوأ حالة فلا ينبغى ان نغتر بمن ساء فهمه وزل قدمه فى الغرق فى إثمه ، فإنه لا قدوة فى الشر فإن غشيان النساء لهذه الجامعات والأعمال والمعامل هو من أقوى الوسائل لتعرف الفساق بهن وإغوائهن والفساق هم الذين يحرصون على هذا الاجتماع بالنساء فلا ينبغى ان نغش أنفسنا ، ونتعامى عما يترتب عليه من فساد الاخلاق والآداب .

تدخل البنت العذراء المصونة المحصنة هذا المجتمع المختلط وهى فى غاية من النزاهة والعفة والحياء فتقعد مقعد المرأة البرزة ، بحيث تكون فى متناول كل ساقط وفاسق فيوجه السفهاء والفسقة إليها انظارهم وافكارهم ويسترسلون معها فى حديث الهزل والغزل ويعملون لها وسائل الإغراء والاغواء سيما اذا كانت ذا حسب وجمال فلا تلبث قليلا حتى تلقى عن نفسها جلباب الحياء والحشمة ، وتزول عنها العفة وتنحل منها رابطة العصمة ، ثم تميل الى الفاحشة المحرمة لانها ناقصة

---

(٢) ص ٤٨٢ من المجلد الرابع من مجلة المنار .

(١) التى تلى هذه الرسالة بإسم الاختلاط « الناشر »

عقل ودين ومشبهة عقولهن بالقوارير والشباب قطعة من الجنون . ومن العصمة ان لاتقدر والمعصوم من عصمه الله . ومتى كثر الامساس قل الاحساس .

قالت عهدتك مجنونا فقلت لها
إن الشباب جنون برؤه الكبر

والمسئولون عن هذا أمام الله والناس هم الامراء والزعماء الذين يجب عليهم منع اختلاط الجنسين اتقاء الفتنة ، وقد قرر العلماء بأن المجموع الذى يتضمن المحظور يكون محظورا . وأن الوسائل لها أحكام المقاصد وأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح . ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام . فلأجله يجب النهى والانتهاء عن مثل هذا لانه يجر الى فنون من المضار المتنوعة متى اعتادها النساء أصبحن لايرون بها بأسًا وزال بها عنهن الأدب والحشمة والعفة والدين .

إن اكبر امر تخسره المسلمة الخفرة فى هذا الاختلاط هو خسرانها للحياء الذى هو بمثابة السياج لصيانتها وعصمتها . فالحياء يحسبه بعض الناس هيناً وهو عند الله عظيم . وفى البخارى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الحياء من الايمان » وقال : « الحياء خير كله » لان الحياء ينحصر فى فعل ما يجملها ويزينها واجتناب ما يدنسها ويشينها والحياء مقرون به البهاء والجلال والجمال كما ان عدم الحياء من لوازمه ذهاب البهاء والجمال والجلال ، ترى المرأة الملقية لجلباب الحياء فى صورة قبيحة وقحة مترجلة لاتدرى أهى رجل أو امرأة وقد قيل :

لعمرك ما فى العيش خير
ولا الدنيا اذا ذهب الحياء
يعيش المرء ما استحيا بخير
ويبقى العود ما بقى اللحاء

إن الحياء كله خير وحسن لكنه فى النساء أحسن .

وإذا اردت ان تعرف خسارة فَقْد الحياءِ فانظر الى بعض البلدان التى هجر نساؤها الحياء وتجافين عن التخلق به ، واعتقدن ان الانسان حيوان ترى فيهن العحب من فساد الاخلاق والآداب ونكوس الطباع وفساد الاوضاع والاخلاد الى سفاسف الشرور والفجور فلا تبالى بما فعلت او فعل بها شبه الحيوان ، فلا تستحى من الله ولا من خلقه ولا ترغب فى أن يبقى لها شرف أو ذكر جميل تذكر به فى حياتها أو بعد وفاتها ، وهذا معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم « إذا لم تستح فاصنع ماشئت » .

نهى القرآن نهياً صريحاً عن ابداء زينتهن لغير أزواجهن أو محارمهن ومن المعلوم ان المرأة فى حالة هذا الاختلاط ستظهر محاسنها ومفاتن جسمها فتبدى يديها الى قريب العضد وبها أسورة الذهب وساعة الذهب وتبدى رجليها إلى نصف الساق وتكشف عن رأسها ورقبتها وقلائدها وحلق الأذان ، ولن تذهب الى هذا المجتمع إلا بعد تكلفها بتجميل نفسها من الأصباغ والأدهان العطرية ، لعلمها أن الشباب سينظرون إليها هل يشتبه على عاقل بعد هذا تحريم إبداء هذه الزينة مع الرجال الاجانب اذ لا محل للتردد فى تحريم هذا العمل وتحريم التعاون عليه وتحريم المساعدة لأهله بل ولا فى تحريم اقرارهم عليه والسكوت من الانكار عليهم ولا حاجة إلى تطويل الكلام فى مفاسده وما يؤول اليه فإنها بديهة بطريق العقل والاختيار .

والمفتونون بالتقليد يعلمون من مضاره المتولدة عنه أكثر مما ذكرنا لكنهم يستحبون العمى على الهدى ﴿ وإنْ يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلا . وإن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ﴾[1] فهم يفضلون ترك هذه الآداب الاسلامية والاخلاق العربية ويهزؤن بمن يفعلها وبمن يخالف رأيهم فى تركها من كل ما يسمونه تمدنا وتجديداً . . .

---

(١) سورة الأعراف : ١٤٦ .

عُمْى القلوب عَمُوا عن كل فائدة
لأنهـم كفـروا بالله تقـليدا

إن الغيرة على المحارم تعد من شيم ذوى الفضائل والمكارم ، فالغيور مهاب ومن لاغيرة فيه مهان والغيرة الواقعة فى محلها هى بمثابة السلاح لوقاية حياة الشخص وحماية أهله ، وكلما اشتد حفظ الانسان لصيانة نفسه وأهله قويت غيرته واشتدت شكيمته بحيث لاتخلو بواديه الأراجيل .

وكلما كثرت ملابسته للقبائح وخاصة الزنا وتوابعه فإنها تنطفىء من قلبه حرارة الغيرة فلا يستنكر معها فعل القبيح ، لا من نفسه ولا من أهله بل ربما يلطف فعل الفاحشة ويزينها لغيره كما يفعل الديوث الذى يقر السوء فى أهله ولهذا صارت الجنة عليه حرام كما ثبت بذلك الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (لا يدخل الجنة ديوث) والديوث هو الذى يقر أهله على عمل السوء لأن من يهن فى نفسه وأخلاقه فإنه يسهل عليه الهوان .

فالفاسدة اخلاقهم وبيوتهم يحبون ان تفسد اخلاق الناس وبيوتهم لينطفىء بذلك عارهم ويختفى ذلهم وصغارهم فمثل هؤلاء يحبون ان تشيع الفواحش فى بلدهم . والغيرة من الدين ومن لاغيرة له لا دين له لأن من لوازم عدم الغيرة الرضا بانتهاك حدود الله ومحرماته . اته .

إن الرجل العاقل والمفكر الحازم يجب عليه أن يراقب العواقب وأن يقابل بين المصالح والمفاسد ، فإن لهذه القضية ما بعدها إذ المنكرات يقود بعضها إلى بعض وحتى تكون الأخرة شراً من الأولى ، فعند نجاح القائلين بإباحة الاختلاط فإنه يقودهم إلى المطالبة بإباحة الرقص ثم المطالبة بإعطاء المرأة كمال حريتها تتصرف بنفسها كيف شاءت ليس لزوجها ولا لأبيها عليها من سلطان كفعل المرأة الاوربية ، وكأن هذا هو هدفهم الأكبر وبعمله يعملون .

أيها العقلاء اعتبروا وفكروا واعلموا بأن المسلمين انما نكبوا فى مجتمعهم وأخلاقهم بعد ما نكبوا فى نظام عائلتهم وفساد تربيتهم لنسائهم وأبنائهم التربية الدينية الصحيحة المبنية على التحلى بالفضائل والتخلى عن منكرات الاخلاق والرذائل .

وبسبب اهمالهم لحسن تربيتهم وفساد تعليمهم ساءت طباعهم ، وفسدت أوضاعهم ، وأخذوا يتناسون التعاليم الاسلامية والاخلاق العربية لأنه اذا ساء التعليم ساء العمل واذا ساء العمل ساءت النتيجة ﴿ ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ﴾[1] .

فهذه محض نصيحتى لكم قصدت بها نفعكم ودفع ما يضركم والله خليفتى عليكم واستودع الله دينكم وامانتكم واستغفر الله لى ولكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

حرر فى جمادى الآخرة سنة ١٣٩٦هـ

---

(١) سورة المائدة : ٤١ .

الرسالة الرابعة

تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية والاختلاط المستهتر

للدكتور محمد الصبّاغ

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــديـم :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ به من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا ، من يهـد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، واشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله .

أما بعـــد :

فإن هذه الرسالة هى فى الاصل كلمة القيتها من إذاعة الرياض . . فاستمع اليها الناس وابلغنى كثير منهم عن سرورهم منها ورغبتهم فى ان توسع وتنشر . . ولكنى لم اجد الوقت لتنفيذ هذه الرغبة ، حتى عمدت كلية الهندسة فى جامعة الرياض الى طبعها فى رسالة ضمن نشرات لجنة النشاط الثقافى ووزعتها على الناس . . جزى الله الاخوة الاكارم فى هذه الكلية الذين قاموا بذلك احسن الجزاء ، وتداولتها الايدى ، وبلغنى ان بعض الافاضل طبعوها على الآلة الكاتبة ووزعوها ثم طبعت فى شركة الطباعة العربية السعودية جزى الله القائمين عليها كل خير .

وقد نظرت فيها خلال رحلة لم تكن معى المراجع الكافية فزدت فيها بعض الزيادات وكتبت لها هذه المقدمة ، وان لهذا الموضوع اهمية كبرى ، لان وضع المرأة يدل على طبيعة الأمة . . فمظهرها ومعاملتها يبرزان هوية المجتمع ويقرران مستقبل الامة .

وان الكيد الذى يكاد للمسلمين كان قسم كبير منه موكولا الى المرأة ، لإفسادها واخراجها الى ميدان الفتنة والابتذال . . ولقد كانت

المرأة هى الخاسرة فى هذه المؤامرة القذرة ، وبخسارتها العظمى فقد المجتمع توازنة وسعادته ، وأمنه وراحته .

وإننى من اجل هذا اقدم هذه الرسالة نصيحة والد الى بناته وفتياته ، واحذرهن من الخطر الماحق ، والمهانة ، والسقوط فى نظر الناس جميعا : فاسقين وصالحين .

اقدمها وانا فى سن الخمسين ، ولا هم لى الا ان اجنب امتى المزيد من الاخطار مما رأيت وسمعت خلال تجربتى الطويلة .

ان هناك تآمرا رهيبا ضد المرأة المسلمة يقوم به ناس لا يخافون الله ، ولايخشون العار ولا الفضيحة ، لانهم ليسوا متدينين غيورين ، فليس لكثير منهم زوجات ولا بنات ، ولا يتقون يوما يسألون فيه عما يعملون ، وان كان لبعضهم زوجات وبنات فليس عندهم من الغيرة شىء حتى ولا التى توجد عند بعض الحيوان .

اما نحن فإن ديننا هو الذى يحملنا على ان نسدى النصح خالصا لبناتنا وأخواتنا وامهاتنا ، وننذرهن من العاقبة الوخيمة التى تنتظرهن إن هن فرطن فى حق دينهن .

أن الدعوة لخروج المرأة من البيت لتخالط الرجال جر المآسى والكوارث[1] وقد بدأ براقا جذابا لتكون المرأة زهرة المجتمع وواسطة

---

(١) وإليك هاتين الحادثتين اللتين نشرتها صحيفة الأخبار :

* اتهم طالب بحقوق الزقازيق بمحاولة قتله زميلته لرفضها الاستجابة لحبه والابتعاد عنه ، طعنها عدة طعنات بسكين حاد داخل فى الكلّية فأصابها إصابات خطيرة ونقلت إلى المستشفى وتم إلقاء القبض على الطالب .

(جريدة الإخبار ١٩٧٩/١٢/٢٧ م)

* تقدم والد فتاة عمرها ١٨ سنة ببلاغ للنيابة العامة يتهم طبيباً بإجهاض ابنته ووفاتها بعد نقلها فى حالة خطيرة الى القصر العينى . وأمام محكمة الجنايات برياسة المستشار شاكر تركى وعضوية أحمد حمادة وأنور الجبالى ، شهدت شقيقة المجنى عليها وهى طالبة بالجامعة أن شقيقتها كانت تعمل عاملة سويتش بعيادة أحد الأطباء المشهورين ، ووطد علاقته معها منذ ٦ شهور وحملت رغم أنها بكر ، وعندما أصبحت فى الشهر الرابع توسلت إلى طبيب آخر لإجهاضها وليمنع عنها الفضيحة ، فأخذ منها ثمانية جنيهات وأجرى لها العملية . ولكن الفتاة شعرت بآلام حادة وعرضت حالتها على طبيب آخر فحولها للقصر العينى حيث أخرج من بطنها بقية أجزاء من الجنين . . . وبعد ١٥ يوما ماتت الفتاة .

العقد المكرمة . . ولكن انتهى بها الامر الى المهانة لتكون كانسة للطرقات ، وخادما فى الخمارات وربما تعرضت فى خروجها هذا الى ما يهدد عفتها ويقضي على مستقبلها ، ان المسئولية تقع على الرجال والنساء من المؤمنين المتقين ، ولابد من ان تنطلق صيحات الخير فى وجوه الحائرين ولكلمة الحق سلطان واى سلطان . اللهم ارنا الحق حقا ، وارزقنا اتباعه ، وارنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه ، والحمد لله رب العالمين .

وكـــتبه

محمد بن لطفى الصباغ

الرياض فى ربيع الأول عام ١٤٠٠هـ

فحكمت المحكمة بحبس ا . يب سنة مع إيقاف التنفيذ لأن الطبيب حاول إجهاض الفتاة بدافع الإنسانية .

(الأخبار ١٩/٤/١٩٧٨م)

أقول : أوردت القصة لذكر أدلة واقعية على ما تتعرض له المرأة مَن أخطار فى عملها تنال من كرامتها وعفتها بل وحياتها .

ولكن الخبر يحتمل جوانب أخرى للتعليق : ماذا صنعوا بالطبيب الزانى ؟ وما حكم هذا الأب المجرم ؟ . . . و . . . و . . .

بسم الله الرحمن الرحيم

تحريم الخلوة بالمرأة الاجنبية والاختلاط المستهتر

إن الخلوة بالمرأة الاجنبية ، والاختلاط المستهتر بين الرجال والنساء حرام فى دين الله ، وهما من عوامل الهدم لأخلاق أمتنا الاجتماعية والاسرية ، ومدعاة لغضب الله وعذابه .

فلنتق الله فى بناتنا ونسائنا وزوجاتنا ولنعلم اننا مسؤولون عنهن بين يدى الله الذى ائتمننا عليهن ، قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة ، عليها ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون »[1] .

لقد حرم الاسلام ذلك تحريما قاطعا ـ بغض النظر عن المستوى الخُلقى للرجل والمرأة ـ فالخلوة حرام ولو كانت بين اصلح الخلق واتقاهم وبين اية امرأة اجنبية ، كما حرم الاختلاط المستهتر ، رعاية منه لمصالح الناس الدنيوية والاخروية لأنه بذلك يصونهم عن الوقوع فى الحرام .

ومما شاع لدى نفر من الموسرين اليوم استخدام الرجال فى البيوت وقيامهم بشئون البيت الداخلية ومخالطتهم للنساء .

يخرج الرجل من بيته الى عمله . . . او الى صديقه . . . او الى اى شأن من شئونه ، وقد ترك زوجته مع الخادم الشاب الذى يتفجر حيوية ونشاطا وقوة ، وربما لا يكون معهما احد من الناس ، وهى لا تستتر منه ، وقد رفعت الكلفة بينهما ، فهى تأمره وتناديه وتنهاه وهو بحكم عمله يستجيب . . . والشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم ، وما

---

(١) سورة التحريم : ٦ .

خلا رجل بأمرأة الا وكان الشيطان ثالثهما ، يحببه إليها ويحببها إليه حتى تقع الجريمة .

والمثيرات ـ فى هذه الايام ـ كثيرة جدا لاسيما بعد انتشار وسائل الاعلام على نطاق واسع[1] من إذاعة وتليفزيون ومسجلات وفيديو وصحافة مصورة ومجلات مثيرة تتصل بالجنس .

وقد يكون هذا الخادم وسيما ، وقد يكون الزوج مسنا او قبيحا او ضعيفا او شرسا مخاصما . . فماذا تكون النتيجة ان لم يكن خوف الله مسيطرا على الجانبين ؟ .

وهذا القرآن الكريم يحدثنا عن تجربة تعرض لها سيدنا يوسف عليه السلام ، عندما كان فى بيت العزيز . . لقد تعرض للفتنة المغرية : ﴿ وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك ﴾[2] .

ولولا ان عصمه الله تبارك وتعالى ، فأراه برهان ربه لكان الامر الفظيع المستبشع .

وكذلك ما شاع لدى فئة من اتباع الغرب ممن لا يخافون الله ، ولايرعون حرماته ، من استقبال المرأة صديق زوجها فى حال غيابه ، والسماح له بالدخول الى بيتها ، والجلوس معه ومؤانسته والتبسط فى القول ، وممازحته . . وما الى ذلك .

ان هذه خلوة محظورة ممنوعة شرعا ، ولا يجوز التساهل بها بحجة الثقة بالصديق والزوجة ، وليست تحمد عواقبها ، ولا يمكن ان يرضى بها الا انسان مريض القلب ، فاقد الغيرة ، عديم المروءة .

ومثله وأشد منه ان تسافر المرأة وحدها ، او مع السائق او الخادم

---

(١) وقد زاد من انتشارها رخص ثمنها وخفة حجمها ووجودها فى السيارات وعموم استعمالها ، فإنك تسمع صوتها ليلا ونهاراً ، فإن نجا منها امرؤ فى بيته ، سمع فى الطريق ومن بيوت الجيران الشىء الكثير .

(٢) سورة يوسف : ٢٣ .

وكذلك ان تذهب المرأة الى الطبيب وحدها[1] وتتحقق خلوة محظورة فيكشف بحكم مهنته عن مواضع فى جسدها ثم يبالغ فى الاستفسار بالاسئلة التى تقود الى الحرام .

وقريب من ذلك ما يفعله بعض الناس من ترك زوجته او ابنته مع السواق يذهب بها ان شاءت ، ولايدرى احد عن طبيعة الحديث الذى يدور بينهما فى داخل السيارة إلا الله .

وكذلك فإن الجلسات العائلية ـ كما يدعونها ـ التى يختلط فيها الرجال بالنساء وهن فى اتم زينة ، وقد القين الحجاب واظهرن المفاتن بحجة أنهم أصدقاء ، وقد يكون فى هذه الجلسات تبادل الحديث المبتذل ، والمزاح الهابط ، والنكتة اللاذعة ، والتعرض بأمور خاصة . إن كل ذلك مما لا يجيزه دين الله ، وهو يعرض كيان الاسرة الى الانهيار ويبدل الود بين الزوجين الى تنافر .

فلقد تقوضت علاقات التراحم والانسجام العائلى فى عدد من الاسر بسبب الاختلاط المستهتر . . . اذ من المحتمل ان تستيقظ غيرة احد هؤلاء المختلطين وذلك عندما يرى زوجته تمازح صديقه فتثور ثائرته ، ويتهمها بأنها كانت تنظر اليه بعين مملوءة بالاعجاب والعاطفة والميل . . ويتحول جو البيت من ود وثقة الى خصام واتهامات ، وقد تنتهى الحياة المشتركة الى الطلاق وتشتت الاسرة ، وان لم تقع مثل هذه النتائج المدمرة فلابد ان يبقى اثر ذلك حساسية مفرطة وشكا متزايدا يحطم السعادة .

واود ان انقل هنا كلاما ذكره استاذنا الشيخ مصطفى السباعى رحمه الله ، فقد ساق اقوالا لبعض الدارسين الاروبيين فيها عظة لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد .

قال شيخنا الدكتور مصطفى السباعى رحمه الله :

---

(١) نشرت جريدة الشرق الأوسط فى عددها ١٣٦ بتاريخ ١٩٧٨/١٢/١١م : أن محكمة « هايغ » فى هولاندا طلبت من الطبيب (يوهان بردغ) دفع حوالى ٧٠٠ جنيه استرلينى كغرامة مالية بعد أن حلول اغتصاب إحدى مريضاته .

« فمن المعلوم تاريخيا ان من اكبر اسباب انهيار الحضارة اليونانية تبرج المرأة ومخالطتها للرجال ومبالغتها فى الزينة والاختلاط . ومثل ذلك حصل تماما للرومانيين ، فقد كانت المرأة فى اول حضارتهم مصونة محتشمة ، فاستطاعوا ان يفتحوا الفتوح ، ويوطدوا اركان امبراطوريتهم العظيمة ، فلما تبرجت المرأة واصبحت ترتاد المنتديات والمجالس العامة وهى فى اتم زينة وابهى حلة ، فسدت اخلاق الرجال ، وضعفت ملكتهم الحربية وانهارت حضارتهم انهيارا مريعا » .

ثم نقل عن دائرة معارف القرن التاسع عشر قولها :

« كان النساء عند الرومانيين محبات للعمل ، مثل محبة الرجال له ، وكن يشتغلن فى بيوتهن ، اما الازواج والاباء فكانوا يقتحمون غمرات الحروب ، وكان اهم اعمال النساء بعد تدبير المنزل ، الغزل وشغل الصوف » .

« ثم دعاهم بعد ذلك داعى اللهو والترف الى إخراج النساء من خدورهن ليحضرن معهم مجالس الأنس والطرب ، فخرجن كخروج الفؤاد من بين الاضالع ، فتمكن الرجل لمحض حظ نفسه من اتلاف اخلاقهن ، وتدنيس طهارتهن ، وهتك حيائهن ، حتى صرن يحضرن المراقص ، ويغنين فى المنتديات ، وساد سلطانهن حتى صار لهن الصوت الأول فى تعيين رجال السياسة وخلعهم ، فلم تلبث دولة الرومان على هذه الحالة حتى جاءها الخراب من حيث تدرى ولا تدرى » .

ثم قالت دائرة المعارف :

« انا لسنا اول من لاحظ هذا الاثر السيء الذى يحدثه حب النساء للزينة يوما فيوما على اخلاقنا فإن اشهر كتابنا لم يهملوا الاشتغال بهذا الموضوع الخطير . فكيف النجاة بسقوط سريع جدا وان شئت فقل بانحطاط لا دواء له ؟؟ » .

المصير الذى انتهى اليه الرومان نتيجة الافراط فى تبرج المرأة واختلاطها فنجد العلامة (لويز بول) يقول فى مجلة المجلات (المجلد

١١) تحت عنوان : الفساد السياسى ، ما يأتى :
« إن فساد الاسس السياسية وجد فى كل زمان ومن الغريب المدهش ان عوامله فى الزمن الغابر هى ذات عوامله فى الزمن الحاضر ، يعنى ان المرأة كانت العامل الاقوى فى هدم الاخلاق الفاضلة » .

ثم اخذ هذا العالم يقارن بين العلامات المنذرة اليوم وبين ما كان فى عهد جمهورية الرومان حتى قال :

« لقد كان الرجال السياسيون فى آخر عهد الجمهورية الرومانية يعيشون صحبة النساء ذوات الطبائع الخفيفة ، اللائى كان عددهن بالغاً حد الكثرة ، فصار الحال اليوم كما كان فى ذلك العهد ، ترى الناس اندفعوا فى تيار الحب البالغ حد الجنون وراء البذخ واللذات » .

وقالت الكاتبة الانجليزية (اللادى كوك) فى جريدة (الايكو) :

« إن الاختلاط يألفه الرجال ، ولهذا طمعت المرأة بما يخالف فطرتها ، وعلى قدر كثرة الاختلاط تكون كثرة اولاد الزنا ، وههنا البلاء العظيم على المرأة » .

ثم قالت :

« أما آن لنا ان نبحث عما يخفف - إن لم نقل يزيل - هذه المصائب العائدة بالعار على المدنية الغربية ؟ اما آن لنا ان نتخذ طرقا تمنع قتل الوف آلاف من الاطفال الذين لاذنب لهم ، بل الذنب على الرجل الذى اغرى المرأة المجبولة على رقة القلب » .

« يا ايها الوالدان لا يغرنكما بعض دريهمات تكسبها بناتكما باشتغالهن فى المعامل ونحوها ومصيرهن الى ما ذكرنا ، علموهن الابتعاد عن الرجال ، اخبروهن بعاقبة الكيد الكامن لهن بالمرصاد ، لقد دلنا الاحصاء على ان البلاء الناتج من حمل الزنا يعظم ويتفاقم حيث يكثر اختلاط الرجال بالنساء . الم تروا ان اكثر امهات اولاد الزنا من المشتغلات فى المعامل والخادمات فى البيوت ، وكثير من السيدات المعرضات للانظار ، ولولا الاطباء الذين يعطون الادوية للاسقاط لرأينا

اضعاف ما نرى الآن . لقد ادت بنا هذه الحال الى حد من الدناءة لم يكن تصورها فى الامكان . . وهذا غاية الهبوط بالمدنية »[1] .

إن الاسلام لم يفرض الحجاب على المرأة الا ليصونها عن الابتذال والتعرض للريبة والفحش ، وعن الوقوع فى الجريمة . فكيف يجوز لامرأة مسلمة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تخالف امر الله وترفع الحجاب امام رجل اجنبى عنها بحجة انه خادم . . او سواق . . او طبيب . . او بائع . . او خياط . . او صديق الزوج . . او استاذ سواء كان فى قاعة الدرس او فى درس خاص . . او ما الى ذلك ؟؟

وكيف يرضى امرؤ يتقى الله ويخشاه بأن تخلو زوجته او ابنته مع رجل اجنبى عنها ؟؟ ان الاسلام حظر الجريمة ومنع اسبابها المؤدية اليها . لان من فرط فى الاسباب وقع فى الجريمة ، ومن حام حول الحمى اوشك ان يرتع فيه .

عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال :

سمعت رسول الله صلى الله وسلم يقول : « ان الحلال بين ، وان الحرام بين ، وبينهما امور مشتبهات لايعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام ، كالراعى يرعى حول الحمى يوشك ان يرتع فيه .

الا وإن لكل ملك حمى ، الا وان حمى الله محارمه ، الا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله ، الا وهى القلب »[1] .

وهناك نوعان من الاختلاط يتهاون فيهما كثير من الصالحين ولابد من ان نشير ههنا الى انهمامعولان يهدمان فى كيان مجتمعنا الاسلامى :

أما اولهما : فهو الاختلاط فى التعليم ، وهو بعد ان اتسع نطاق التعليم ليس ضرورة يتعين اللجوء اليها لقلة الطلاب والاساتذة كما كان

---

(١) منقول عن كلمة للأستاذ السباعى رحمه الله فى هذا الموضوع نشرتها جيعة الإصلاح الاجتماعى فى الكويت سنة ١٤٨٧هـ (١٩٦٧م) من ص ١٠ إلى ١٣ .

يتذرع بها الذين بدأوا هذه السنة السيئة ، وان من اضراره ما نلمسه فى الواقع الذى نعيش فيه وتتسرب بعض انبائه الى الصحف . . إنه إفساد للخُلق وهبوط بالتعليم ، وصرف للطاقات فى غير مجال الدرس والتعليم .

وإننا عندما نستطيع ان نمنعه فى بلادنا الاسلامية كلها وفى جميع مراحل التعليم نكون قد بدأنا الخطوة المتقدمة حقا ، ولا يعنى ذلك ان نمنع تعليم المرأة ابدا . ان التعليم حق للمرأة كما هو حق للرجل ، لكن فى حدود الشرع المطهر .

إن هذه الكلمة المخلصة التى أطلقها وأرفع بها صوتى ارجو ان تأخذ طريقها الى التنفيذ ، يجب ان ينتهى عهد التقليد والتبعية والهدم الى غير رجعة .

يجب ان يمنع الاختلاط فى التعليم طاعة لأمر ربنا ، ورعاية لاخلاق ابنائنا ، وسعيا للمزيد من تحصيل العلم والمعرفة .

واما ثانيهما : فهو الاختلاط فى العمل ، وهو أمر يقع فيه كثير من الطيبين والطيبات ، ولا ينتبه عدد منهم الى انه اختلاط غير مشروع ، فلا ينكرون هذا المنكر حتى فى قلوبهم ، واذا آلت الى احدهم سلطة يستطيع بها ان يمنع هذا الشر او يكفكف من غلوائه فإنه لايفعل شيئا لأنه لم يحس بأن مثل هذا الوضع غير مشروع . . . ترى بعضهم يرسل ابنته أو زوجته لتعمل فى وسط مختلط دون ان تكون هناك حاجة ملزمة ولاضرورة مستحكمة .

نعم ان للمرأة الحق فى ان تعمل ، كما يدل على ذلك قوله تعالى : « للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن »[1] .

ولكن عملها هذا مشروط بأن يكون ضمن حدود الشريعة وذلك بالا يكون فيه اختلاط مستهتر ، ولا خلوة محرمة ، والا يعرضها هذا

---

(١) سورة النساء : ٣٢ .

العمل الى الفتنة والا تكون طبيعة عملها مخاطبة الرجال ، والانة القول لهم حتى تتألفهم لصالح العمل الذى تقوم به ، وان تكون هى ملتزمة بالحجاب والحشمة .

هناك مجالات ممتازة لعمل المرأة كالتعليم والتوليد والطب للنساء . . فكم هو جميل ان نجد طبيبات متخصصات فى الامراض كلها ولا تعالج الطبيبة منهن الا النساء .

وعملها فى مثل هذه المجالات لا يقدم لها المنفعة الخاصة فحسب بل يقدم للامة كلها النفع الكبير . اذن فالعمل للمرأة بعيدا عن الرجال امر لايمانع فيه الشرع . . ولكن ينبغى ان يبقى فى حدود الضرورة والمحافظة على تنفيذ احكام الله .

ان عمل المرأة فى خارج البيت يحدث اختلالا فى الحياة الزوجية دون شك ، وان الوضع الطبيعى للمرأة ان يكون عملها فى البيت ، وعمل البيت عبء غير يسير ، وانه ليحتاج الى تفرغ تام ، لاسيما إن كان هناك اطفال .

اما ان لم يكن هناك ضرورة فإن عملها ـ كما ذكرنا ـ ضار مؤذ اشد الإيذاء ، ذلك ان العمل يكون قد استنفذ طاقتها ، فتعود الى بيتها ضجرة متوترة الاعصاب لا تستطيع احتمال كلمة من زوجها ولا من أولادها[1] وغالبا ما تكون العلاقات بين الزوجة العاملة وزوجها قائمة على اساس مادى بحت . . . وكثيرا ما تنشأ خلافات حادة تبدد جو الود والحب ، واذا قدمت المرأة من دخلها شيئا من المساعدة فقد الرجل قوامته ومسئوليته ولم تعد المرأة ـ بحكم غيابها عن المنزل ـ قادرة على رعاية البيت وتنشئة الاولاد .

---

(١) نشرت جريدة الأخبار ما يلى :

« المرأة التى تصرخ بأعلى صوتها للمطالبة بمساواتها بالرجل ، أصبحت الآن تصرخ لحمايتها مضايقة الرجال فى العمل . . إن المرأة عندما دخلت مجال العمل وجدت نفسها وسط غابة من الرجال . . وكما تقول (جلوريا تيانم) مديرة تحرير مجلة (إم إس) : « إن المرأة وجدت نفسها فى هذا المجال معرضة للخطر . . وتذكر (جلوريا) أن هناك مئات الحالات التى ضبطت فى أوروبا وأمريكا لنمو ظاهرة الخوف

وينبغى ان نقنع بناتنا - لنحول بينهن وبين مخاطر الاختلاط فى العمل - بأنه ليس من الضرورى ان يستتبع تعلم المرأة ان تعمل خارج المنزل .

فلتتعلم بناتنا ما شئن من العلوم ليتوسع إدراكهن وتكبر عقولهن وليشاركن فى بناء الجيل المسلم المجاهد الجديد .. وانها لمهمة جليلة !! .

ومثل الذين يتهاونون فى الخلوة والاختلاط الآثم بدعوى انهم ربوا على الاستجابة لنداء الفضيلة ورعاية الخلق ، مثل قوم وضعوا كمية من البارود بجانب نار متوقدة ثم ادعوا ان الانفجار لايكون لان على البارود تحذيرا من الاشتعال والاحتراق .. ان هذا خيال بعيد عن الواقع ومغالطة للنفس وطبيعة الحياة واحداثها .

هذا وقد بطلت الدعوى التى يزعم قائلوها إن الاختلاط يكسر الشهوة ، ويهذب الغريزة ، ويزيل هذا الجنون الجنسى ، ويخفف من الكبت ، ويبعد الفساد ، وبطلان هذه الفرية قائم متحقق بزيارة عابرة لاى بلد من بلاد اوروبا .. ان مثل هذه الزيارة تقنع من كان مترددا فى تكذيب هذا الادعاء .. فلقد زاد الاختلاط من توقد الشهوة وعرامها .. وزاد من الفساد .

ومثله مثل الظمآن يشرب من ماء البحر فلا يزيده شربه إلا عطشا على عطش .

والتوتر لدى المرأة العاملة لدرجة أن هذه الظاهرة أصبحت عامة بشكل مثير .. وقد نشرت عشرات القصص التى تروى ببساطة مدى التهديد الذى تقع فيه المرأة فى غابة الرجال .

وتستطرد (جلوريا) قائلة : إنَ هذه الظاهرة قد نوقشت فى مؤتمر عام عقد فى نيويورك حيث روت عشرات النساء كيف تحطمن فى عملهن لأنهن رفضن تحقيق رغبات الرجال الذين كن يعملن معهم .
(جريدة الأخبار ١١/١١/١٩٧٧م)

ونشرت الأخبار فى عددها بتاريخ ٢٢/٥/١٩٧٧ عن مراسلها جلال عيسى فى جنيف ما يلى : « أكد خبراء طب الصناعات أن العمل يضعف من أنوثة المرأة ، وقالوا : إنه لا يشترط أن يكون العمل شاقاً ، بل إن الأعمال المكتبية والذهنية وتحمل المسئولية لها نفس التأثير » .. وقال : « إن ما تعانيه المرأة العاملة من متاعب نفسية أثناء العمل ينعكس على حياة الأسرة ، وأكد أن العمل يؤثر أيضاً على الرغبة الجنسية لدى المرأة » . وفى الخبر أيضاً تفصيلات أخرى .

واليك مثالا واحدا ـ وما اكثر الامثلة ـ على ان حياة الغرب تردت الى الحضيض : فقد ذكرت جريدة الشرق الأوسط ان الطالب الامريكى (جو فوتس) والبالغ من العمر ١٩ عاما قد اطلق النار على استاذه (جيمس بونجى) داخل احدى قاعات التدريس فى مدرسة (سانتا مونيكا) فى كاليفورنيا فأرداه قتيلا على الفور ، وذكر بيان لرجال الشرطة صدر فى وقت لاحق ان خلافا قديما قد نشب بين الطالب واستاذه بسبب التنافس على حب احدى الطالبات[١] .

إن الاختلاط لا يحقق للمرأة اى احترام ، لان ما يبدو من الاهتمام بالمرأة فى الجلسات المختلطة ليس فى حقيقته الا احتقارا للمرأة وزراية بها ، لانهم ينظرون اليها على انها متعة ، ولو كانت عجوزا لما اهتموا بها ابدا . . اما الاسلام فهو الذى يقدرها حق قدرها ، ويوجب احترامها أماً ، ورعايتها بنتاً واكرامها زوجة ، والمحافظة عليها جارة وأختا مسلمة .

فانتبهن يابناتى العزيزات ، يابنات هذا الجيل ، إن الرجل لا يحترم الا المرأة التى تحترم فضيلتها وعفتها وحجابها . . ولا يرى فى المتبرجة المختلطة بالرجال الا العربة يطاف من حولها للتلهى بها والاستمتاع .

والشيء الغريب العجيب أن اولئك الذين اخذوا يستعيرون حياة الفرنجة لم يستطيعون ان يتخلوا عن تصورات امتهم وقيمها واعرافها على الرغم من محاولات المائعين المنحلين الكثيرة لزحزحة الأمة عن تقاليدها ومثلها ، ولم يدرك هؤلاء المتفرنجون هذه الحقيقة الا بعد وقوع النكبة الممضة والتعاسة الدائمة .

إن الإسلام عالج هذا الموضوع بصورة جذرية .

١ ـ فقد جاء الامر بغض البصر ، قال تعالى : « قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ، إن الله خبير بما

---

(١) انظر جريدة الشرق الأوسط العدد ١٤٧ ، بتاريخ ١٢/٤/ ١٩٨٠م .

يصنعون ، وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولايبدين زينتهن الا لبعولتهن او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بنى اخوانهن او بنى أخواتهن او نسائهن او ما ملكت ايمانهن او التابعين غير اولى الاربة من الرجال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء . ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا ايهاالمؤمنون لعلكم تفلحون »[1] .

وعدَّ الشرع النظرة نوعا من انواع الزنا ، فعن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : « كُتب على ابن ادم نصيبه من الزنا فهو مدرك ذلك لامحالة : العينان زناهما النظر ، والرجل زناها الخطى ، والقلب يهوى ويتمنى ، ويصدق ذلك الفرج او يكذب » رواه البخارى ومسلم وابو داود والنسائى .

وفى رواية لمسلم وابى داود : « واليدان تزنيان فزناهما البطش ، والرجلان تزنيان فزناهما المشى ، والفم يزنى فزناه القبل » .

ان تسمية هذه المحرمات زنا ، تبشيعاً لهذه المعاصى وتنفيرا منها وتخويفا للناس من الوقوع فيها لما استقر فى نفوس المسلمين من استعظام جريمة الزنا وكونها من السبع الموبقات . فهذه المعاصى مع انها محرمة لذاتها فهى كذلك محرمة لسد الطريق التى تؤدى الى تلك الفاحشة المقيتة . وهذا ما عرف فى الفقة الاسلامى بسد الذرائع .

٢ ـ وجاء الامر بتحريم الخلوة بالمرأة حتى ولو كان الرجل من اقارب الزوج . . . فعن ابن عباس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لايخلون احدكم بإمرأة الا مع ذى رحم » رواه البخارى ومسلم . وعن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اياكم والدخول على النساء » فقال رجل من الانصار : افرأيت

---

(١) سورة النور : ٣٠ ، ٣١ .

الحمو ؟؟ قال صلى الله عليه وسلم : « الحمو الموت »[١] رواه البخارى ومسلم والحمو هو قريب الزوج .

٣ ـ ان فى تأديب الله لزوجات رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وتحديد علاقتهن بالرجال عظة بالغة ودرسا عظيما . فلنستعرض الآيات التى تحدثت عن ذلك ففيها الكفاية لمن اراد الهداية :

قال تعالى :

« يأأيها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن . ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما[٢]

قال تعالى :

« يانساء النبى لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا ، وقرن فى بيوتكن ولاتبرجن تبرج الجاهلية الاولى ، واقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله ، انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا . واذكرن مايتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا »[٣] .

قال تعالى :

« يأأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبى الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه[١] ولكن اذا دعيتم فادخلوا ، فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذى النبى فيستحى منكم والله لا يستحى من الحق ، واذا سألتموهن متاعا فأسألوهن من وراء حجاب ، ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن . وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا ازواجه من بعده ابداً . ان ذلكم كان عند الله عظيماً »[٤] .

وزوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم هن امهات المؤمنين ، وهن

---

(١) قال أبو عبيدة فى معناه : يعنى فليمت ولا يفعل ذلك .

(٢) سورة الأحزاب : ٣٣ ، ٣٤ .

(٣) أى نضجه .

(٤) سورة الأحزاب : ٥٣ .

موضع الاحترام والتكريم ، وهن محرمات على المسلمين ، وقد بلغن منزلة فى الدين والتقوى ليس فوقها منزلة ، وفى بيوتهن تتلى آيات الله والحكمة ، ويشهدن تنزل الوحى والتطبيق العملى للاسلام فى مصدريه الكتاب والسنة ، والصحابة جيل مثالى ، سما الى مستوى لا يمكن ان يبلغه جيل ، وقد شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفضل ورضى الله عنهم ورضوا عنه ، قال تعالى :

« والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ، ذلك الفوز العظيم »[٣] .

ومع ذلك فقد حدد الله علاقة هؤلاء الزوجات بأولئك الرجال الافاضل على نحو ما نطقت به الآيات الكريمة التى اوردناها : فلقد امرن بأن يدنين عليهن من جلابيبهن ، ويلزمن بيوتهن ولا يتبرجن تبرج المرأة فى الجاهلية ، وبألا يخضعن فى القول فى مخاطبة الرجال فيطمع الذى فى قلبه مرض ، بل يتكلمن بمقدار الضرورة ، وقد قرن تبارك وتعالى هذا بأمرهن باقامة الصلاة وايتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله ، ولقد كان ذلك كله ﴿ ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾وامر المسلمين ـ اذا ارادوا ان يسألوهن متاعا ـ ان يسألوهن من وراء حجاب ، فيحدثونهن من خلف ستار يفصل بينهم وبينهن .

ويقول تعالى : ﴿ ذلك اطهر لقلوبكم وقلوبهن ﴾ .

ولايقولن قائل : إن هذا خاص بزوجات النبى صلى الله عليه وسلم دون سائر المسلمات ، ان هذا مطلوب من المسلمات جميعا ، كما هو مطلوب من امهات المؤمنين وذلك من وجهين :

الأول : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة للمسلمين ، وسلوكه مدرسة متبعة ، يقول تبارك وتعالى﴿ لقد كان لكم فى رسول الله

(٣) سورة التوبة : ١٠٠

اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر وذكر الله كثيراً ﴾[1] .

الثانى : اذا كان مثل هذا الاحتياط فى السلوك والمعاملة مطلوبا من امهات المؤمنين وهن كما ذكرنا من الاستقامة والتقوى ، ولهن ما قررنا من الرحمة وجلالة القدر عند جميع المؤمنين الصادقين فالمسلمات الاخريات احوج الى الاخذ بهذا الاحتياط .

هذا وانى ارى الا تخلو هذه الكلمة المتواضعة من التنبية الى رأى خاطىء عن اجتهاد ، واكثرهم مغرض دساس ، وذلك عندما يعمدون الى الاستشهاد بحوادث اوردتها كتب السنة فيريدون ان يعمموها ويسحبوها على ما يقع اليوم من اختلاط مستهتر هدام ، فقد كتب بعضهم[1] مقالات فى صحف ومجلات ، ورد عليهم اخرون فى مقالات ورسائل ولست اريد ان ادخل فى تفصيلات الرد عليهم ، ويكفينى هنا ان انبه الى هذه القولة الباطلة ، وان اكشف عن القصد السيء عند اكثر القائلين بها ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

فلننتبه ياعباد الله ، ولندرأ عن انفسنا الوباء والخطر قبل حلوله لنحذر مكر الشيطان . . فإنه شر مستطير على انفسنا واهلينا وامتنا .

ولنستجب لدعوة الله تعالى نسعد فى الدنيا والآخرة﴿ ياايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب ﴾[2] .

والحمد لله رب العالمين . .

محمد بن لطفى الصباغ

(١) سورة الأحزاب : ٢١ .

(١) من هؤلاء الأستاذ أحمد حسن الزيات والشيخ أحمد حسن الباقورى وغيرهما .

(٢) سورة الأنفال : ٢٤ ، ٢٥ .

الرسالة الخامسة

أضواء على تربية المرأة المسلمة

للأستاذ محمّد منير الغضبان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه .

بين يدى البحث :

لدى استعراض مذكرة المؤتمر الأول العالمى للتعليم الاسلامى بصدد الحديث عن تعليم المرأة جاء فيها ما يلى[1] :

ينظر الاسلام الى المرأة نظرة خاصة بحكم انها تمثل نقطة الثقل فى تكوين الاسرة التى تمثل بالتالى نواة المجتمع البشرى ، وهذا يعكس الاهمية المطلقة لحلقة نظام تربوى متميز لاعداد المرأة المسلمة ، وذلك فى ضوء ما يحتاج المجتمع الاسلامى اليوم من تأثير غربى مباشر وغير مباشر على قيم وسلوك بناته .

ولهذه الحلقة مناقشة مايلى :

١ ـ نوع المؤسسات التعليمية المناسبة للمرأة لكل المراحل .

٢ ـ المناهج المناسبة لتعليمهن .

(١) المؤتمر الذى انعقد بمكة المكرمة ، بتاريخ ١٢ ـ ٢٠ ربيع الآخر ١٣٩٧هـ ، ٣٠ آذار ـ ٨ نيسان ١٩٧٧م .

٣ ـ طرق وسائل تحصينهن من التأثيرات الضارة الواردة الينا ، اى طريق الحضارة وثقافة الغرب .

٤ ـ فكرة التعليم المختلط ومضار ذلك على المرأة المسلمة .

فالهدف الاساسى من الحلقة هو ايجاد نظام تربوى متميز لاعداد المرأة المسلمة . ولمناقشة هذا الهدف لابد من استعراض الامور الاربعة التالية :

المؤسسات التعليمية ـ المناهج ـ التمييز عن الثقافة الغربية ـ مضار التعليم المختلط .

ولكن هذه الامور قد لاتفى بالقدر المطلوب لتصور هذا النظام التربوى المتميز ، بل هناك امور اخرى بحاجة الى نقاش حتى يتضح هذا التصور بحيث يغدو مخطط البحث على الشكل التالى :

أولا : حكم تعليم المرأة ، الواجب والجائز والمحظور .

ثانياً : واقع تعليم المرأة ، المؤسسات التعليمية ، المناهج .

ثالثاً : اخطار فى طريق تعليم المرأة : تأثير الثقافة الغربية ، التعليم المختلط .

رابعاً : التصور للنظام التربوى المتميز لاعداد المرأة المسلمة ، اهدافه ، مراحله فى :

(أ) المناهـــج (ب) المؤسسات التعليمية .

أولاً : حكم تعليم المرأة

نريد ان نتناول القضية ببساطة ووضوح تامين ، وان كان هذا الامر قد فرغ منه ، لكن الواقع القائم ينبىء عن اللبس فى هذا الحكم .

والذى يعطينا التصور الكامل للحكم هو حديثا رسول الله صلى الله عليه وسلم :

الأول : قوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه ابن ماجه عن عبدالله ابن عمر رضى الله عنهما :

« العلم ثلاثة ، فما وراء ذلك فضل : آية محكمة ، او سنة قائمة ، او فريضة عادلة »[1] .

الثانى : قوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه ابن ماجه عن انس بن مالك رضى الله عنه : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » .

والمرأة داخلة فى هذا التعميم لان المسلم هنا تستغرق المرأة والرجل على السواء .

والحديث الاول قد اوضح ما هو العمل بالضبط الذى ينطبق الفرض عليه وهو : الآية المحكمة التى توضح الحلال والحرام فى الاسلام ، والسنة القائمة : التى تفصل كتاب الله وتوضح مجمله . والفريضة العادلة : التى تعطى كل ذى حق حقه .

ويدخل فى اطار الفريضة على المسلم ما اطلق عليه العلماء اسم فرض الكفاية ، الذى اذا قام به البعض سقط عن الباقين ، وهو تعلم ما تقوم به مصلحة المسلمين ولا غنى لهم عنه ، وندع للامام ابى حامد الغزالى رحمه الله ان يحدثنا عنه فيقول :

« اما فرض الكفاية ـ اى فى العلم ـ فهو كل علم لايستغنى عنه فى قوام امور الدنيا : كالطب اذ هو ضرورى فى حاجة بقاء الابدان ،

(١) ضعيف « ضعيف الجامع الصغير / ٣٨٧٥ » « الناشر »

وكالحساب فانه ضرورى فى المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما . هذه العلوم التى لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج اهل البلد ، واذا قام بها واحد كفى ، وسقط الفرض عن الباقين . فلا تعجب من قولنا ان الطب والحساب من فروض الكفايات ، فإن اصول الصناعات ايضا من فروض الكفايات كالفلاحة والحباكة والسياسة ، بل والحجامة والخياطة . . . » .

واذا تحدثنا بمفهوم الاختصاص فى توزيع فروض الكفايات لوجدنا ان اثنين على الاقل مما ذكره الغزالى داخل فى صميم اختصاص المرأة ، اولهما : الطب ، وثانيهما : الخياطة .

وما ذكره الغزالى هو على سبيل المثال لا الحصر ، فتعليم الفتيات هذه العلوم وغيرها من علوم فرض العين داخل فى هذا الاختصاص .

وكما تقول القاعدة الفقهية « ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب » .

فعلوم العربية : مدخل لفهم الآية المحكمة والسنة القائمة .

وعلم الحساب : مدخل لفهم الفريضة القائمة .

وعلم الهندسة : مدخل لفهم الخياطة . .

وعلوم الرياضيات والاحياء : مدخل لفهم الطب .

ولكننا يجب الا ننسى ابدا القاعدة الثانية التى تقول : « الضرورة تقدر بقدرها » ، وما زاد عن الضرورة هو الذى سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم : الفضل او الزيادة . وحكمه الفقهى هو الجواز ، ونتساءل بعد ذلك هل فى العلم محظور ؟

لانجد فى النصوص ما يسعفنا فى هذا المجال . ويمكننا ان نقول : إن الاسلام نهى فقط عن تعلم السحر ، واعتبره كفرا او قرينا للكفر . وما وراء ذلك فلا يخرج عن اطار الفريضة والاباحة .

ولابد لنا ونحن ندخل فى تفصيلات البحث ان تبقى هذه المفاهيم فى رفقتنا الى آخر المطاف .

ثانياً : واقع تعليم المرأة

لم يعد فى العالم الاسلامى من يناقش فى حق المرأة فى التعليم فى صفوف العاملين بالحقل التعليمى فيما نعلم ، لكن الملاحظ هو التوافق الشديد بين تعليم المرأة وتعليم الرجل لدرجة ان المناهج الخاصة لا تكاد تذكر اذ قيست بالمناهج والمؤسسات المشتركة . وقبل ان نخوض فى تفاصيل هذه المؤسسات والمناهج وما يتفرع عنه ، نجدنا مساقين للبحث فى اسباب هذا التوافق العجيب .

لقد استوردناتعليم المرأة فيما استوردناه من الغرب ، لا لان الاسلام لا يعترف بتعليم المرأة ، بل لان المفهوم الاسلامى قد انحرف فى القرون الاخيرة واصبحت المرأة كمًّا مهملا لاتختلف عن الأَمَة او الجارية فى البيت . واذا كانت الجهالة قد سادت مجتمعنا الاسلامى فى هذه القرون التى ضعنا فيها عن حقيقة الاسلام ، فلا غرو ان تنال المرأة النصيب الاكبر من هذا الضياع .

وعندما اتجهت امتنا الى الغرب تريد تقليده فى كل شىء على امل ان تستعد مجدها من خلال هذا التقليد ، تلقفت التعليم الغربى برمته لتطبقه عندها .

فكيف كان التعليم للمرأة فى الغرب ؟ كانت انانية الانسان الغربى وماديته قد حطمت جوانب انسانيته ، ورفض الرجل ان يتحمل اعباء النفقة فى بيته ، على زوجه أو امه او شقيقته او ابنته فلم يكن بد ان تعمل المرأة ، لم يكن عملها حقا اكتسبته كما تتصور الساذجات فى امتنا اليوم ، بل كان عبودية فرضت عليها ، ونيرا أُحكم فى رقبتها .

وللامانة والموضوعية نقول : ان مساواتها فى الاجور مع الرجل كان حقا قد حصلت عليه بعد كفاح طويل وعنيف ، لان اصحاب المعامل قد استغلوا ضعفها من قبل فى تشغيلها باخس الاجور .

وحافظ الغرب على الحد الادنى من انسانيته مكرها ، بان ساوى

المرأة مع الرجل فى الاجر ، لكنه بقى متشبثا بانانيته وجشعه ورفض ان يعيد المرأة الى موطنها الطبيعى فى البيت ، او ان ينفق عليها لحظة واحدة . فاصبحت المرأة والرجل شريكين فى الشقاء على حساب تربية الاسرة .

وحين جاء علماء التربية ، ووضعوا المناهج التعليمية ، ووجدوا ان رسالة المرأة والرجل واحدة ـ وضعوا منهجا مشتركا موحدا للرجل والمرأة على السواء ، وخططوا كذلك للمؤسسات التعليمية الواحدة . ونشأ ثمرة هذه التربية جيل جديد من النساء فقد كثيرا من خصائص الانوثة ، ولم يحمل خصائص الرجولة . واصبحت المرأة فى المكتب والمصنع والمعمل والمتجر ، تقاوم ضعفها وعجزها لتحصل على لقمة عيشها .

وحين تلقينا مناهجنا ومؤسساتنا التعليمية من الغرب جئنا بها بحذافيرها لنطبقها على واقعنا ، وسعينا فى تطبيقها ، فكان انحرافنا منهجيا من الاصل واكتفينا ببعض التعديلات البسيطة بأن ادخلنا مادة التربية النسوية والاقتصاد المنزلى بمعدل حصتين او ثلاث فى الاسبوع من ثلاثين حصة تقريبا ، ونشأت عندنا المرأة للمجتمع لا البيت !! ولقد عم هذا الانحراف وطم فى آفاق العالم الاسلامى كله . وان كان هناك بعض الاختلاف فى نسبته .

اذا لا شىء عندنا اسمه مناهج تعليم المرأة ، ولا شىء عندنا اسمه مؤسسات تعليم المرأة ، بل كل ما عندنا مناهج تعليمية عامة ، ومؤسسات تعليمية عامة ، وان كانت الديار السعودية تختلف عن اقطار العالم الاسلامي : بانفراد تعليم المرأة بجهاز خاص هو الرئاسة العامة لتعليم البنات ، وبمراعاة حظر الاختلاط فى جميع مراحل التعليم ، وبمراعاة شىء من الاختلاف فى مناهج مواد التعليم . لكن الاساس فى المناهج والمؤسسات التعليمية واحد للطلاب والطالبات .

وكلمة اخيرة بهذا الصدد حول المواد الخاصة بالمرأة مثل التربية

النسوية بفروعها ، واخص بالذكر مادة الخياطة : نجد التعليم فيها منصبا كله على الموضات والموديلات الغربية ، والاساس فيها هو ماتقدمه دور الازياء العالمية من تطور فى اللباس .

وللصهيونية العالمية دور كبير فى توجية دور الأزياء العالمية والتخطيط لعرى المرأة باسم اللباس ؛ حتى تذوب آدمية المرأة والرجل على السواء ، ويبقى لشعب الله المختار المزعوم دوره فى قيادة البشرية !!

وعندنا فى معاهد الخياطة او مادة الخياطة انقياد كامل ذليل وعبودية تامة لكل انتاج وتطورات دور الازياء العالمية .

فإلى متى نبقى عبيدا للآخرين ؟ !

●●●

ثالثاً : أخطار فى طريق تعليم المرأة

١ ـ تأثير الثقافة الغربية :

وهذا واقع بلا شك فى حياتنا التعليمية ، وبغض النظر عن ملاحظة هذا التأثير فى مؤسسات التعليم ، فأثره فى المنهج واضح مبين ، حيث اخذت مناهجنا خطين متوازيين :

(أ) تكوين الانسان العلمانى :

إذ تهدف هذه المناهج الى ان تجعل الطالب يثق فى العلم ثقة لا تقبل الشك والمناقشة ، وان معلوماته قاطعة نهائية . فصار العلم فى ضمير الطالب (والطالب هنا الذكر والانثى) ، بمثابة الاله الذى لايرد له قول ، ولا تتم النجاة والانقاذ والتقدم والحضارة الا به . وقد ادت هذه القدسية الى ان يغدو الدين ضئيلا فى حياة الطالب ، ضعيف الاثر ، مهمته اصلاح الخُلُق ، وهو امر ثانوى لا يقدم ولا يؤخر فى نقد المجتمع ليصبح فى مصاف الدولة الحديثة .

ويؤسفنى ان اقول : ان المناهج قد نجحت فى هذه المهمة ! وهكذا

اصبح الدين فى المجال العاطفى والوجدانى ، بينما احتل العلم المجال الفكرى والعملى ، هذا عند من لم تزغ عقيدته .

لقد غدا الطالب يحس ان المنهج الدينى منهج ظنى لانه يقوم على التلقى والنقل والخبر ولا يقوم على التجربة ، فلا يجد حرجا من ان يناقش كثيرا من المُسَلَّمات الاسلامية ، ويعرضها على الخطأ والصواب ، بل ويعرضها على العلم ذاته !! اما المنهج العلمى فهو منهج يقينى يقوم على التجربة ، ومن اجل ذلك لايناقش ابدا اى خبر يطلق عليه الناس : العلم ، ولو كان ظنيا او مختلفا فى ثبوته .

ان الحتمية العلمية التى سادت فى اوروبا فى القرن التاسع عشر قد انتهت من تاريخ العمل الحديث ، لكن ظلالها المقيتة لاتزال تستبد بافكارنا فى الشرق الاسلامي . لا نزال نؤمن بحتمية العلم ونتائجه ، فلا يناقش احد فيه ، اما الدين فيباح الحديث والجدل فى ضرورته او عدم ضرورته . فى صحته او عدم صحته . اما العلم فلا يناقش احد فى ضرورته ولا فى صحته . وهذا هو الانسان العلمانى الذى يُؤَلِّه العلم وحده ولا يشرك به شيئا .

(ب) تكوين الانسان الموظف :

فهى تعد الانسان ليكون موظفا فى الدولة حتى فى الدراسة التى يطلق عليها الدراسة العلمية ! ومن اجل هذا ضعف الابداع فى مجتمعنا الاسلامى . ان الطاقات العلمية كبيرة ، ولكن الدول لم تهيىء لها وسائل الابداع والاختراع فمكثنا عالة على غيرنا فى كل شيء . وبالتالى فحين تدرس الطالبة تكون مهيأة بعد دراستها لتدخل الوظيفة مثل زميلها الرجل ، فتشاركه الحياة فى المكتب والمصنع وقاعة الدرس وكل مرافق الحياة ، وبذلك تنتهى من ان تكون اماً متفرغة لتربية الجيل الى كادحة ناصبة لتحصل على رزقها من كد يدها ، وعرق جبينها . لماذا ؟

اليس عندنا نظام النفقات فى الاسلام الذى يرعى الفتاة وهى جنين فى بطن امها الى ان توسد فى اللحد ؟ ويهيئها للتفرغ التام للتربية فى

بيتها تنفذ أمر ربها : ﴿ وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى ، واقمن الصلاة وآتين الزكاة واطعن الله ورسوله ، انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾[١] .

وتمثل ثناء نبيها :

« خير نساء ركبن الابل صالح نساء قريش ، احناهن على ولد ، وارعاهن على زوج فى ذات يده »[٢] .

« والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها »[٣] .

لقد اصبح العلم للوظيفة ، والفتاة التى تنال الشهادة ولا تتوظف تتحسر على دراستها وعمرها الذى امضته دون ان تجنى ثمرته .

لقد كان اثر المنهج الغربي اولا ان نكون موظفين فى الدولة لا مخترعين فى المعامل . وكان من اثره ثانيا ان وضع المرأة بجانب الرجل ، واخرج المرأة من البيت ، وفرض الاختلاط فى المجتمع ، وقضى على الرسالة الاساسية للمرأة وهى تربيةالجيل فى مملكتها الخالدة البيت ، وسلم الاولاد الى المحاضن التى تفقد حنان الامهات .

والمرأة الغربية بائسة . . . هذا ما اعلنه احد العلماء الغربيين حين كتب يقول : « ان الاصوات تتعالى يوما بعد يوم شاكية من الاعباء الثلاثة التى تنوء بها المرأة ، اعنى عبء المهنة وتدبير المنزل والعائلة ، بحيث إن وضع المرأة هذا لم يعد يطاق . فكما كان تشغيل الاطفال قبل مائة عام لطخة عار فى نظامنا الاجتماعى وكذلك يعتبر اليوم تشغيل المرأة »[٤] .

وتستغيث المرأة نفسها حين يتاح لها ذلك . . فى الاستفتاء الذى اجرته مجلة « مارى كلير » بواسطة احد مكاتب الاستطلاع للرأى فى

---

(١) سورة الأحزاب : ٣٣ .

(٢) رواه البخارى .

(٣) متفق عليه .

(٤) عن كتاب المرأة بين الفقه والقانون للدكتور مصطفى السباعى رحمه الله .

باريس حول المساواة مع الرجل فى الحقوق والواجبات وفى الحرية ، كانت نتيجة الاستفتاء مايأتى :

« مليونين ونصف امرأة فرنسية مللن المساواة مع الرجل : انهن مللن

الحياة العصرية مللن حالة التوتر الدائم طوال ساعات النهار وأغلب ساعات الليل مللن الاستيقاظ عند الفجر خوفا من ان يتأخرن عن ساعة بدء العمل فى المصنع أو المكتب . وأجمعن ايضا انهن مللن الانتظار تحت المطر لوصول الأوتوبيس المزدحم الذى ينقلهن الى مكان العمل . مللن الجرى عند الظهيرة لشراء الطعام وإعداده لباقى الأسرة ثم العودة للعمل مرة اخرى حتى السادسة مساء . مللن الحياة العائلية التى لا يرى فيها الزوج زوجته إلا فى أثناء تناول الوجبات أو عند النوم . مللن الحياة التى لا تستطيع فيها الأم أن تباشر مسئوليتها الكبرى فى تربية اطفالها ، فهى لا تراهم إلا للحظات خاطفة تكون خلالها مرهقة الجسم خائرة القوى متوترة الأعصاب »(١) !!

خائرة القوى متوترة الاعصاب »(١) !!

ويعلن مكتب العمل الدولى فى تقرير له تحت عنوان : « اول من يفضلون واخر من يعينون » ، كيف تعانى المرأة من التمييز العنصرى بينها وبين الرجل : « تم فصل سبعة ملايين امرأة فى ١٨ دولة فى اوربا الغربية وامريكا وكندا واستراليا واليابان ، نتيجة الازمة الاقتصادية التى وقعت فى اوربا فى العام الماضى . ويشير هذا التقرير الذى نشرته وكالات الانباء بتاريخ ٢٢ يناير كانون الثانى ١٩٧٧ ، ان هذا العدد يمثل نسبة اربعين فى المائة من القوى العاملة فى هذه الدول . وان المرأة تواجه التفرقة عند العمل رغم التقدم الحضارى فى هذه الدول . فهى اول من يتم فصلها فى الازمات الاقتصادية . واخر من يتم تعيينها فى الرخاء »(٢) .

٢ ـ التعليم المختلط :

اتجاه جارف لدى الدول الاسلامية الى اختلاط التعليم ، اما فى

---

(١) عن ملحق الندوة الأسبوعى ، الخميس ٩ محرم ١٣٩٧هـ .

(٢) عن صحيفة الرياض ، الأحد ٢٣ ـ ١ ـ ١٩٧٧ ، العدد ٣٥٢٩ .

المرحلة الجامعية فيمكن القول ان العالم الاسلامى كل التعليم فيه مختلط ، ما عدا المملكة العربية السعودية . وفى التعليم الابتدائى يتجه عدد من الدول الاسلامية الى تنفيذ الاختلاط فيه وخاصة فى الصفوف الاولى المتقدمة .

وحجة دعاة الاختلاط فى المراحل الاولى : ان الاطفال برآء ليس لديهم الا مشاعر فطرية بعيدة عن الجنس ، وموقفهم فى هذا الموضوع شبيه بموقف المشركين الذين يتحدثون بمنافع الخمر وينسون إثمه الكبير .

إن المضار التربوية التى تنشأ من اختلاط الاطفال بالمرحلة الابتدائية التى تبدأ منذ سن التمييز ـ السادسة ـ لاتحصى : حيث يبدأ التلميذ يعى ما حوله وتجعل الحياة الطبيعية عنده هى الاختلاط . ويقيم صداقاته كما يهوى مع صديقه او صديقته ، ويحيا معها حياة مشتركة . فهو يحس عند انتهاء الاختلاط انه فقد صديقا عزيزا عليه ، ويحن لهذه الصديقة حنينا منبعثا من كيانه ، ويود لو يلبى هذا الحنين ، ويتابع صلته وصداقته التى بناها من قبل دون قيد .

لقد صار الاختلاط جزءا من كيانه حتى يبلغ سن المراهقة ، وتتفتح مشاعره الجنسية ، سوف يختلط هذا التهيج الجنسى بذلك الحنين الطفولى لدى الطرفين . يغدو هدفهما ان تتكسر الحواجز وتصبح النظرة الى عدم الاختلاط تتسم بالحقد ، ويعبر عنها بالكبت .

لقد ربينا الطفل منذ نعومة اظفاره على الاختلاط ، وزرعناه فى كيانه ، ثم اردنا ان نمنعه منه حين احس ان كيانة كله يريد الاختلاط . انه سوف يعتبرنا اعداء له ؛ لاننا نحول بينه وبين ما زرعناه فى كيانه . فأية فائدة تربوية ، بل آية ثمرة مرة نتجرعها يوم نربى اولادنا على الاختلاط ؟ !

جانب ثان من الموضوع الذى يثيره دعاة الاختلاط : هو قدرة المرأة

على تربيةالطفل فى المدرسة الابتدائية اكثر من الرجل هو كلام معسول فى ظاهره ، وعلقم فى حقيقته !!

إنه لما يندى له الجبين خجلا ان نربى المرأة على الحياة خارج البيت ، ونطردها من جنتها فى البيت الى جحيم الشارع والمكتب والمصنع . وهؤلاء الذين يدعون الى اختلاط الاطفال بهذه الحجة يدسون انوفهم فى الرغام حين نقول لهم : لقد خربتم المرأة حين اخرجتموها من البيت ، وحطمتم رسالتها يوم سويتموها مع الرجل ، ثم تأتون لكى تبيحوا الاختلاط لتقولوا : إن المرأة اقدر على التربية من الرجل .

ياهؤلاء : حرصكم على التربية ان تأتوا بالمرأة الى المجتمع المختلط لتربى الجيل بجانب الرجل ، فإن كان حرصكم عليها حين حرمتموها من التفرغ لتربية اولادها فى البيت ؟ ان للمدرسة مهمة تختلف عن مهمة البيت :

فمن الحرية الطليقة اللامسئولية ، الى الارتباط بالنظام والدوام والمسئولية .

أليس من المعهود تربويا كذلك ان الولد يهاب اباه اكثر من هيبته أمه ؟! وهذا يعنى ان الرجل اقدر على تهيئة التلميذ لمسئوليات المجتمع وهمومه ومشاكله ، والمرأة اقدر على تربية فتاتها على رسالتها فى البيت والتفرغ له . انها الفطرة !!! ولكنها محاولات مجرمة لافساد هذه افطرة بحجة التربية .

وثمة امر ثالث نقوله لدعاة الاختلاط عند الطفل فى المرحلة الابتدائية : اليس من المعروف ان سن النضج الجنسى للفتاة يسبق سن النضج الجنسى عند الفتى ؟ ترى كيف تكون حال طالباتنا فى الصف السادس مثلا ، فى الثانية عشرة او الثالثة عشرة من عمرهن ، وقد بلغن نضجهن الجنسى . وهن يجلسن على مقعد واحد مع زملائهن ، وهذا هو السن الطبيعى للنضج الجنسى للفتاة وقد اكتملت انوثتهن ، وبرزت مفاتنهن ، واثداؤهن ؟ !

ماذا تريدون يادعاة الاختلاط ؟

اما الاختلاط فى الجامعات فماذا نقول عنه ! ؟ ضرورة اجتماعية ؟! ضرورة خُلقية ؟ ! ضرورة قومية ؟ ! ضرورة تربوية ؟ ! هكذا يقولون !! ويقولون : إن المرأة والرجل قد بلغا من الرشد والمسئولية بحيث يترفعان عن العلاقة الجنسية بينهما ، انما زمالة درس وصداقة مرحلة .

إنهـــم لكاذبـــون ! !

أما لو صح قولهم بالحديث عن الرشد لأمكن القول ان حاجة المرأة الى ان تتزوج انتهت مع دخول الجامعة ، وهذا يكذبه الواقع لكل ذى لب ، والفضائح التى تقع فى الجامعات ، ويندى لها الجبين اكثر من ان تحصى .

ونقول لهؤلاء الذين يرون فى الغرب مثلا يحتذى ، وآلهة تعبد : هلا بلغكم آخر تطورات التعليم المختلط فى الغرب فى القرن العشرين ، وبالذات فى امريكا ربة الحضارة الحديثة ؟ ! اما سمعتم ما فعلت امريكا وتفعل فى الاختلاط فى الجامعة ؟ ! انها الاحصائية التى وردت فى الموسوعة الجغرافية وفى عام ١٩٧٧ عن الجامعات والكليات الامريكية غير المختلطة ، فقد اكدت الموسوعة المعلومات التالية :

فى امريكا ١٠٨ كليه جامعة وكلية امريكية غير مختلطة منها ٧٩ جامعة وكلية للبنات فقط ، و٢٧ كلية وجامعة للشبان فقط[١] :

ونقول بعد ذلك : ما هى مبررات دعاة الاختلاط فى التعليم ؟ وهل تناست امريكا او تجاهلت الضرورات القومية والاجتماعية والتربوية

---

(١) أوردت مجلة المجتمع الكويتية فى عددها الصادر فى ١٣ أكتوبر تشرين الأول رقم ـ ١٧٠ ـ قائمة كاملة بأسماء هذه الجامعات والكليات غير المختلطة . ومن شاء التوسع فليرجع إليها .

والاقتصادية حين سلكت هذا السبيل ؟ ان هى الا رغبة جامحة فى افساد هذا الجيل : ﴿ ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما ﴾[٢] .

* * *

رابعـاً : التصور المتميز لإعداد الطالبة المسلمة

الأهــــداف :

إن حاجتنا إلى تصور جديد لنظام تربوى متميز للمرأة المسلمة ، منبثقة فى الاصل من اختلاف رسالتها عن الرجل :

الله تعالى يقول للرجل : ﴿ هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من زرقه وإليه النشور ﴾[١] .

والله تعالى يقول للنساء : ﴿ وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى ، واقمن الصلاة وآتين الزكاة ، وأطعن الله ورسوله . إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ، ويطهركم تطهيرا واذكرن مايتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا ﴾[٢] .

ومن خلال هذه الايات نلحظ رسالة المرأة المسلمة : فلقد تكررت كلمة البيت ثلاث مرات : ﴿ وقرن فى بيوتكن ـ ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ـ واذكرن ما يتلى فى بيوتكن ﴾.

فرسالة المرأة المسلمة فى البيت . لكنها ليست خدمة فقط أو عبودية مذلة كما يدعى المغرضون ؛ بل هى رسالة مشعة بالعلم والهدى والنور .

---

(٢) سورة النساء : من الآية ٢٧ .

(١) سورة الملك : ١٥ .

(٢) سورة الأحزاب : ٣٣ ، ٤٣ .

٢ ـ وهى رسالة العلم : ﴿ واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ﴾ .

لكل شىء فى السلوك .

٣ ـ وهى رسالة التوجية الاجتماعى ﴿ واذكرن . . . . ﴾ ليست فاسمعن فقط ، بل اذكرن للآخرين والأخريات .

﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله . إن الله عزيز حكيم ﴾[١] .

فيجب ان يحقق النظام التربوى للمرأة المسلمة هذه الاهداف جميعا : العلم ، والعبادة ، والتوجية الاجتماعى فى بيئتها المحيطة بها ولو سار النظام فى غير هذا المنحنى لكان انحرافا عن المنهج ، وكان بالتالى نظاما غير تربوى بكل تأكيد .

وقدم لنا القرآن الكريم نموذجا مما تشترك فيه المرأة والرجل فى مجال العبادة فى عشر فقرات :

﴿ إن المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، والقانتين والقانتات ، والصادقين والصادقات ، والصابرين والصابرات ، والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات ، والصائمين والصائمات ، والحافظين فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيرا والذاكرات ، أعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما ﴾[٢] .

كما تؤكد الآية التى تليها التساوى فى طاعة الله ورسوله للمرأة والرجل نصا : ﴿ وماكان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا ﴾[٢] .

فـإذن :

---

(١) سورة التوبة : ٧١ .

(٢ ، ٢) سورة الأحزاب : ٣٥ ، ٣٦ .

* علم هذه الامور جميعا فرض عين على المرأة المسلمة اذا لا عمل بدون علم ، ويمكن ان يكون المنهج العلمي فى مجال العبادة واحد للرجل والمرأة ، مع مراعاة بعض الاختلاف البسيط الذى اقره الشرع لاختلاف طبيعتها هذا أولا .

* ولابد لها ثانيا أن تتعرف على كتاب الله والحكمة كما أمرها ربها : (واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة) فالعلوم الدينية جميعا بحاجة اليها .

* ولابد لها ثالثا من الوسائل التى تتعرف بها وتصل منها الى هذه العلوم ، فما لا يتم الواجب الا به فهو واجب . فهى مضطرة الى علوم العربية من نحو وصرف وبلاغة ونقد .

* وتأخذ من بقية الغلوم رابعا ما يساعدها على فهم دينها ورسالتها فى بيتها ، وقدرتها على تربية وتوجية اولادها ، وقدرتها على توجية بيئتها ومجتمعها .

هدفنا اذن من التصور للنظام التربوى المتميز للمرأة المسلمة هو ان تتربى وتتعرف منه على :

١ ـ أمور دينها .
٢ ـ مسئوليتها فى بيتها .
٣ ـ فن خدمة بيتها وزوجها .
٤ - فن تربية أولادها . ـها بحيث تكون عارفة بتطوراته خبيرة
٥ - إطلاعها على مجتمعها بحيث تكون عارفة بتطوراته خبيرة باتجاهاته .

ولنسر معها منذ مرحلتها الاولى فى تحديد هذا التصور :

(أ) فى المرحلة الابتدائية

ماهى اهداف التعليم فى المرحلة الابتدائية حسب الواقع القائم ؟ هى تكوين قدرات لدى التلميذ على القراءة والكتابة الجيدة ،

وتكوين القدرة الحسابية البسيطة ، وتكوين خبرة علمية واجتماعية بالبيئة المحيطة بالطفل . فالثقافة هنا للخبرة وتكوين القدرات .

وكما تعّرف سياسة التعليم المرحلة الابتدائية واهدافها قائلة :

« المرحلة الابتدائية هى القاعدة التى يرتكز عليها إعداد الناشئين للمراحل التالية من حياتهم . وهى مرحلة عامة تشمل ابناء الامة جميعا ، وتزويدهم بالاساسيات من العقيدة الصحيحة والاتجاهات السليمة ، والخبرات والمعلومات والمهارات »[1] .

اما المهارات المقصودة ، فكما تقول المادة (٧٥) : تنمية المهارات الاساسية المختلفة وخاصة المهارة اللغوية ، والمهارة العددية والمهارات الحركية .

ومما لاشك فيه ان القرآن وحده كاف لتكوين هذه القدرات والخبرات ، لماذا لا يكون القرآن وحده محور العملية التربوية فى المرحلة الابتدائية ؟ إن الذين تخرجوا من كتاتيب القرآن فى الماضى ، والذين يدرسون اليوم فى مدارس تحفيظ القرآن لايضاهيهم فى القدرة اللغوية والكتابية خريجوا المدارس الابتدائية بكل تأكيد . فالقراءة الجيدة بدون لحن ، والكتابة المضبوطة بدون خطأ ، هى سمة ملازمة لتلاميذ كتاتيب القرآن . ويتساويان بعدها فى القدرة الحسابية ، والخبرة التعليمية ، لان الكتب فى المدارس العادية تعرف التلميذ ببيئته . وكلا التلميذين يعيشان فى بيئة واحدة . ونحن لانقول ان تلقى القرآن يجب ان يتم فى الطريقة القديمة فقط ، ان معطيات التربية النفسية يمكن ان نستعملها فى التعليم خلال هذه المرحلة . ولكننا نطالب كما تقرر التربية نفسها فى أرقى طرائقها الدراسية من خلال المشروع الذى ندرس المواد الدراسية كلها من خلاله .

إن تقسيم المواد الى تاريخ وجغرافيا وعلوم وعربية ودين يجب أن

---

(١) سياسة التعليم فى المملكة العربية السعودية ـ الباب الخامس ـ أهداف مراحل التعليم .

يكون في ذهن واضع المنهج وذهن المدرس ، لا في ذهن التلميذ وواقعه .

لماذا نهلك التلميذ فى عشر مواد ، وعشر وظائف ، وعشر دفاتر ، وعشر مقررات للحفظ ، أليس هذا من الطرائق التربوية المتهرئة ؟

يمكن ان يكون القرآن وحده رفيق تلميذ الابتدائية بجانب كراسته وقلمه . حينما تكون الآيات عن الليل والنهار والشمس والقمر يتلقى معلوماته الجغرافية .

وحينما تكون الايات عن قصص الانبياء وقصص السيرة يتلقى معلوماته التاريخية .

وحينما تكون الآيات عن الأنعام والنبات وقدرة الله فيها يتلقى معلوماته العلمية .

وحينما تكون الآيات عن الصلاة والزكاة والحج والصدق والامانة يتلقى معلوماته الدينية .

أما معلوماته اللغوية فمن خلال الآيات السابقة كلها . أما القدرة اللغوية قدرة القراءة والكتابة ، ففى بداية الطريق يتم تعرفه على الحرف وكتابته . ولا يصعب الاستفادة من الطريقة الجملية او التركيبية اذا شئنا ذلك .

والقدرةالحسابية يمكن أن يفرد لها حصة يومية ؛ فلابد له منها ليفهم معنى أنصبة الزكاة ، ومعنى أنصبة المواريث وغيرها .

القرآن وحده يحقق هذه الامور جميعا ، وهى كلها جزء من اهدافه ، ولانريد مزاحما للقرآن ابداً مهما كان الكتاب .

ونريد هدفا آخر أكبر من هذا الهدف : هو حفظ القرآن من خلال هذه المرحلة . إن هذه المرحلة التى تمتد من السادسة للثانية عشرة هى السن المناسبة للتدريب على الذاكرة ، فالذاكرة فى هذه المرحلة شعلة متوهجة هى اقدر ماتكون على الحفظ والاستظهار ، وما يحفظه قلما يتم نسيانه .

خلال القرآن ، وهذه مدارس تحفيظ القرآن قائمة عندنا شاهدة على صدق ما نقول . فتلاميذ الثانية عشرة والثالثة عشرة يحفظون القرآن . وصلتهم مع أعظم كتاب بلاغى فى الوجود وتعاملهم معه ، وحياتهم من خلاله عن اللحن ، وجودة كتابتهم ، ومهارة مطالعتهم ، وسعة ثقافتهم التى لا تعرف الحدود .

لقد تم هذا كله بالأساليب القديمة المعتادة وبالجهود الشخصية المحدودة .

عن اللحن ، وجودة كتابتهم ، ومهارة مطالعتهم ، وسعة ثقافتهم التى لاتعرف الحدود .

فكيف اذا اتجه علماء التربية المسلمون الى هذا الهدف ، ووضعت إمكانية الدول المادية والمعنوية لتحقيق هذا الهدف ؟!

وأقولها بصراحة دون مجاملة :

إن مناهجنا القائمة فى المرحلة الابتدائية خرجت لنا تلاميذ فقراء فى الخبرة اللغوية ، ورافقهم هذا الفقر حتى بعد انتهاء دراستهم الجامعية فى أخطاء القراءة والكتابة ، وتساووا فى بقية القدرات والخبرات . اذا احسنا الظن مع تلميذ المدرسة القرآنية .

ولكن الجريمة الكبرى هى صرف التلاميذ عن كتاب الله . انها مؤامرة تلقيناها على إنها خبرات تربوية حديثة !! ولقد حاولت السعودية ان تعطى القرآن كثيرا من الاهتمام باكثار ساعات تلاوته ؛ ولكن المحاولة لم تعط ثمارها المطلوبة ، لان القرآن يزاحم بعشر مواد أخرى على الاقل روعيت فيها البساطة والصورة الجميلة ، فغدت محببة الى القلب أكثر من القرآن . ونجحت المؤامرة .

فهل لنا ان نصحو مرة ثانية ، ونعيد القرآن إلى تلاميذنا وتلميذاتنا ، كما نستفيذ من كل معطيات التربية وعلم النفس فى أسلوب تدريسه ؟! نحافظ على كل ما نريد من مواد فى ذهن المدرس وواضع المنهج ، ليركز عليها فى ذهن الطفل ، دون إرهاقه بهذا التقسيم الذى عفا عليه الدهر وأصبح من مخلفات طرائق التربية .

ومؤتمرنا هذا هو المسئول مسئولية مباشرة عن هذه الصحوة إذا تبنى

هذه المفاهيم ، وتخلص من رواسب القيود الجاهلية التى طغت فى كل جوانب الحياة .

(ب) فى المرحلة المتوسطة

إذا تذكرنا فى تاريخنا التشريعى أن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى فى بداية الدولة الاسلامية عن كتابة الحديث حتى لايزاحم القرآن ؛ أدركنا خطورة مزاحمة المواد العشر للقرآن فى المرحلة الابتدائية ، وأدركنا كذلك أن المرحلة المتوسطة ـ بعد ان يكون تلميذنا قد احتفظ بالقرآن فى قلبه ـ يمكن ان يتلقى فيها تفصيلات علمية أو اجتماعية أو دينية أكثر .

وعودة بسيطة إلى الوراء نذكر فيها هذه الأسماء :

أنس بن مالك ، عبدالله بن عمر ، عبدالله بن عباس ، زيدبن ثابت ، عبدالله بن الزبير ، عائشة بنت أبى بكر .

نجد أن هذه الاسماء قد نقلت لنا التراث الاسلامى كله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عائشة كان سنها عندما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ست سنين وعندما بنى بها تسع سنين .

عبدالله بن الزبير أول مولود فى الاسلام بالمدينة .

عبدالله بن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يناديه ياغلام ويشد بأذنه من الجانب الايسر الى الجانب الايمن .

زيد بن ثابت كان عمره عشرين عاما عندما كلف بجمع القرآن فى خلافة الصديق أى كان عمره عشر سنين فى أول سنى الهجرة .

أنس بن مالك دخل بيت النبوة وعمره عشر سنين .

عبدالله بن عمر لم يحضر غزوة أُحد لانه كان صغيرا .

عمرو بن سلمة أمَّ قومه وهو ابن ست سنين لانه كان أعلم قومه بالقرآن .

فالمرحلة المتوسطة مرحلة ابتداء فرض العين فى التكاليف الاسلامية ، مرحلة تعلم كتاب الله والحكمة ، مرحلة تعلم العبادات وأحكامها ، مرحلة الاتصال بعلم التفسير وعلم الحديث وعلم الفقة وعلم التوحيد ، ومرحلة الاتصال بالثقافة الاسلامية ، ومرحلة التعرف على التاريخ الاسلامى ، وجغرافية الأمة المسلمة .

فالتخصص فى المرحلة المتوسطة بالتركيز على هذه الامور هو الذى يناسب هذه المرحلة .

حاجة الطالب والطالبة إلى مبادىء الهندسة واحدة حيث يوجه لاختصاصه فى عمارة الارض ، وتوجه لاختصاصها فى التفصيل والخياطة .

حاجة الطالب والطالبة الى مبادىء العلوم والاحياء واحدة ؛ فهى لابد لها أن تتعامل مع الحياة فى بيئتها ، مع الادوات الكهربائية ، مع المواد الغذائية ، مع المواد التى تحتاج اليها فى الغسل والكى .

فمبادىء العلوم والرياضيات تتلقاها الطالبة فى هذه المرحلة بالقدر المقرر الذى تتعرف فيه على أسسها العامة .

بينما تتعمق فى العلوم الاسلامية التى تركز فهما لدينها ، لعبادتها ؛ لآيات الله المنبثة فى الكون ، للحكمة المنبثقة من الحديث وفقهه .

والعلوم اللغوية كذلك تتعمق فيها بصفتها أداة الفهم للعلوم الاخرى قاطبة، :

وأقول : إن المرحلة الابتدائية لاتحتاج إلى أى اختلاف فى مناهجها للبنين والبنات .

والمرحلة المتوسطة يمكن أن تتوحد بين البنين والبنات من حيث المنهج العام ، ولكن الكتب المؤلفة يجب أن تكون متغايرة . فلا شك أن المواضيع تختلف سعة وضيقا ، وتركيزا ومرورا عابرا من الفتاة للفتى ، إضافة الى بعض المواضيع الخاصة بالفتاة ، وبعض المواضيع الخاصة بالفتى كذلك .

(جـ) المرحلة الشانوية

إذا اخذنا الحديث المشهور المروى عن عائشة رضى الله عنها والذى رواه ابن أختها عروة بن الزبير والذى يقول فيه :

« مارأيت أحدا اعلم بشعر ولا بفقه ولا بطب من عائشة » .

نجد أن قمة التخصص العلمى كان عند عائشة رضى الله عنها ، فهى بالاضافة إلى نقلها الشريعة من خلال الحديث النبوى ، فهى أعلم الناس بالشعر والفقة والطب .

لقد كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ينوفون عن عشرات الألوف وكان فقهاء الصحابة الذين يفتون يغدون على الاصابع ، وكانت عائشة أم المؤمنين أحد هؤلاء المعدودين .

فأى مدى من العمق والتخصص وصلت اليه أم المؤمنين رضوان الله عليها فى فقه دين الله !!

لقد تساءل بعض التابعين وهو يرى اسم عائشة يملأ الدنيا فى المجال الفقهي ؛ تساءل عن جانب أحس أنه أبعد ما يكون عن مجال المرأة هو باب الفرائض - اى المواريث .

ولو سألنا اليوم الطلبة المتخصصين بكلية الشريعة عن أصعب المواد عليهم ، لكان الجواب هو مادة الفرائض ! وخاصة حين تتعدد الأنصبة ويكون الحجب والعول والرد .

سأل ذلك التابعى : هل كانت عائشة تحسن الفرائض ؟ فقال له المسئول مؤكدا : رأيت مشيخة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأكابر يسألونها عن الفرائض[١] .

وكان عطاء بن ابى رباح يقول :

كانت عائشة أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن رأياً بالعامة[٢] .

ويتجاوز أبو موسى الاشعرى هذا الامر فيقول :

(١ ، ٢) عن الإصابة فى تمييز الصحابة .

ما أشكل علينا أمر فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها فيه علماً[٣] .

فإذا كان الفقة يمثل الجانب الدينى ، والشعر يمثل الجانب الأدبى ، والطب يمثل الجانب العلمى ـ فلا غرابة إذن أن يتنوع التخصص فى المرحلة الثانوية بين هذه الجوانب الثلاثة : الأدبى والعلمى والدينى . إضافة إلى الجانب التربوى الذى تدرس فيه خصائص الطفولة ، وعلم نفس الطفل ، إضافة إلى التوسع الجيد فى مادة التربية الفنية والنسوية ، بحيث يكون كل فرع فيها مادة مستقلة .

فتكون المواد الاساسية هى :

١ ـ مواد التربية الفنية والنسوية .

٢ ـ المواد التربوية وعلم نفس الطفل ، مع مراعاة أن تكون منطلقة انطلاقا تاما من المفاهيم الاسلامية .

٣ ـ الثقافة الاسلامية : وتكون فيها الآيات التى عالجت رسالة المرأة ، مثل : صدر سورة النساء ، وسورة النور والاحزاب والتحريم والطلاق . والاحاديث الواردة فى هذا الموضوع . والاحكام الفقهية كذلك .

٤ ـ اللغة العربية فى كتاب واحد يجمع الامور الضرورية فى النحو والأدب .

ولابد من الاشارة إلى أن التخصص العلمى يركز فيه على علم الاحياء وفروعه بشكل تفصيلى ، بينما تكون المواد العلمية الاخرى كفروع الهندسة والجبر والفيزياء والكيمياء مبسطة جداً ، لبعد ذلك عن حياتها العملية ، إن لم نقل بإمكان الاستغناء نهائياً عنها .

وما عدا هذه المواد الرئيسية ، فيكون التعمق والتخصص فى كل فرع على حده .

الفرع الأدبى ومواده اللغوية والاجتماعية . أو الفرع العلمى ومواده

---

(٣) عن الإصابة فى تمييز الصحابة .

الحسابية وعلوم الإحياء والأدوية . أو الفرع الدينى ، ومواده فى الفقة والحديث والتفسير .

(د) المرحـلة الجـامعية

المرحلة الجامعية بالنسبة للمرأة هى مرحلة غير أساسية ، بمعنى أن الاصل أن تكون المرأة فى هذه السن قد دخلت بيتها الزوجى ، وأسست أسرة جديدة . وتأخر المرأة فى الزواج بعد سن العشرين بحجة الدراسة هو أمر غير طبيعى ، ولا يتلاءم مع ررح الإسلام ، وتوجيهاته العامة إلى الزواج المبكر .

وليست عملية الدراسة الجامعية والتفرغ لها إلا عملية تضحية تقوم بها النابغات من نسائنا ليحققن مفهوم فرض الكفاية فى مجالهن ، حيث يقوم بها البعض ليسقط عن الباقيات . وليس الأصل فيها العموم .

والمجالات النسائية التى نحن بحاجة لها فى مجتمعنا هى مجال التعليم والطب ، بتعليم المواد اللاتى يتلقينها فى مدارسهن ، والتخصص فى المجالات الطبية ليقمن بدورهن فى تطبيب النساء ، بل والرجال عند الضرورة وعند قيامهم بجهاد العدو فى خضم المعارك ، كما كانت الصحابيات يفعلن فى الجيش الاسلامى لتكون كل طاقات الرجال موجهة للقتال ، كما تقول أم عطية رضى الله عنها :

« غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات كنا نسقى العطشى ونداوى الجرحى » .

وما عدا هذين المجالين فهو خروج فى طبيعته عن مهمة المرأة الاساسية ، كما سبق وقلنا فى بداية البحث انه ليس فى العلم محظور ، ولكن كل مايحول دون تحقيق المرأة لمسئوليتها فى بيتها يكون محظورا عليها .

كلمة اخيرة :

هذه محاولة بسيطة متواضعة أقدمها بين يدى المؤتمر . واضعها بين يدى إخوتى اعضاء المؤتمر العالمى الأول للتعليم الاسلامى - يكفى أن تكون مؤشراً فقط لكى يساهم الاخوة اعضاء المؤتمر بتقديم الصورة الكاملة للعملية التربوية المتميزة للمرأة المسلمة ، وهى مهمتهم ، بل امانة فى اعناقهم إن لم يؤدوها يحاسبهم الله تعالى على التقصير فيها .

والله أسأل أن يسدد خطانا إلى مافيه رضاه ، وأن يجنبنا الزلل والعثار ويغفر لنا الخطأ والنسيان ، إنه سميع مجيب .

والحمد لله رب العالمين .

تم بحمد الله تعالى

الرسالة السادسة

التجمع المختلط

للدكتور محمد محمد حسين

المجتمع المختلط

تأليف
الدكتور محمد محمد حسين

المجتمع المختلط

كثر كلام الناس فى هذه الايام - فى الصحف وفى دور العلم ، واقسام الفلسفة ومعاهد تخريج المدرسين والاخصائيين الاجتماعيين منها خاصة - عن الكبت الجنسى ومضاره . وشاع بين كثير ممن ينتحلون الدراسات النفسية - والفرويدية منها خاصة - ان السبيل إلى تلافى الاضرار المتولدة عن هذا الكبت هى اختلاط الذكور بالاناث وتخفف النساء من الحجاب ومن الثياب ، وهو تخفف لا يعرف الداعون اليه مدى ينتهى عنده . ولعله ينتهى الى ما انتهى اليه الامر فى مدن العراة التى نكست فيها المدنية فارتدّت الى الهمجية الأولى . ذلك هو « المجتمع المختلط » الذى يدعون الى تعميمه فى المدارس وفى الادارات الحكومية وفى المصانع وفى الشركات وفى الاندية والمجتمعات . وقد اخذت هذه الدعوة سبيلها الى التنفيذ فى بعض هذه الميادين .

---

* نشرت فى عدد جمادى الألى سنة ١٣٧٧ من مجلة الأزهر . وكان جزء منها قد نشر فى عدد مايو ١٩٥٧ من مجلة المجتمع العربى ولم ينشر باقيها .

والواقع ان هذا الاتجاه هو جزء من اتجاه أكبر وأعم يراد به فرنجة المرأة الشرقية وحملها على أساليب الغرب فى شتى شؤونها : فى الزواج وفى الطلاق وفى المشاركة فى العمل والإنتاج فى شتى الميادين وفى الزى وفى المحافل والمراقص ، الى آخر ما هنالك . وهذا الاتجاه هو بدوره جزء من اتجاه اكبر يراد به سلخنا من أدب إسلامنا وتشريعهِ ، وإلحاقنا بالغرب فى التشريع والأدب والموسيقى والرسم وفى سائر فنون الحياة بين جد ولهو . والموضوع ذو جوانب متعددة . ولكن أبرز جوانبه ناحيتان : اختلاط النساء بالرجال ، واشتغال النساء بأعمال الرجال . وسأعالج الناحية الأولى منه فى هذا المقال ، مرجئاً الشق الثانى إلى مقال تال إن شاء الله .

وأخطر ما فى هذه الدعوات الجديدة ان اصحابها يلجؤون الى تدعيمها وتثبيت جذورها الغريبة فى ارضنا بأسانيد من الدين بعد أن يحرفوا الكلم عن مواضعه فى نصوصه الشريفة من قرآن او حديث او خبر . لذلك رأيت ان ابدأ هذه الكلمة بتقديم طائفة من الآيات القرآنية تبين بشكل قاطع حكم الاسلام الصريح فى هذه الامور .

١ ـ يقول الله تبارك وتعالى :

يأيها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما
(الاحزاب ـ ٥٩)

تأمر هذه الآية المسلمات بإطالة الثياب وبإدناء بعض اطرافها من البعض الاخر ، حتى تستر الصدور والظهور والاذرع والسوق . وتصرح بالحكمة فى ذلك ، وهو تمييز الاحرار من النساء وتكريمهن بصونهن عن اذى الذين يتعرضون للبغايا وللخليعات ، لأن التبرج والتبذل يسلكهن فى مسالك الريب ويطمع الفساق فى التعرض لهن وإيذائهن فى حيائهن وفى أعراضهن بالاقوال أو الافعال .

٢ ـ ويقول تعالى :

قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو ابنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ماملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليُعلم مايخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون .

(النور ٣٠ـ ٣١)

تأمر هاتان الآيتان الرجل والمرأة كليهما بغض البصر عند رؤية أحدهما للآخر . وتردف الامر بالمحافظة على العفاف مع الامر بغض البصر ، كأن النظر هو سبيل التفريط فى العفة ثم هى تأمر المرأة بأن تحرص على ستر مواضع الفتنة والأنوثة منها وعدم افشائها بأدوات الزينة والتجميل المختلفة او الثياب الضيقة او الشفافة او الحركات الخليعة التى تذيع صوت ما تتحلى به من حلى ، كما تأمرها ان تغطى رأسها بالخمار وأن تضرب بفضوله على صدرها ليستر فتحة ثوبها . ولا تبيح الآيتان للمرأة أن تتخلى عن هذا الحجاب إلا فى حضرة الذين لاتثيرهم مفاتنها من المحارم أو الاطفال الذين لم يبلغوا الحلم أو ناقصى الذكورة من الرجال الذين لا أرب لهم فى النساء . وتكشف الآية الأولى عن الحكمة فيما تطلب الى المؤمنين من غض الابصار ، فتقول أنه أدعى إلى تزكية النفس وتطهيرها ، والسمو بها عن مواطن الدنس . وتقول للمرتابين فى صدق هذا الأمر وحكمته : إن الله اخبر بطبائع خلقه وبمذاهبهم فيما يصنعون من انفسهم . وتختم الآيتان هذه الحدود المرسومة بدعوة المؤمنين جميعاً إلى أن يعودوا إلى طريق الله بعد ان نأت بهم عنه الشهوات ودعوات المضللين ، لان التزام طريق الله هو سبيل الفلاح والنجاح .

٣ ـ يقول تعالى :

« والقواعد من النساء اللاتى لايرجوَن نكاحا فليس عليهن جُناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم »

(النور ٦٠)

أما هذه الاية فهى لا تبيح التخفف من بعض الثياب (كالجلباب والرداء والقناع فوق الخمار) إلا للطاعنات فى السن ممن ذهب رونقهن وفارقن سن الزواج ، ولم يعد مثل هذا الصنيع منهن يثير الناظر إليهن . ومع ذلك فهن مأمورات بأن يلزمن جانب الحشمة فلا يبرزن مايتكلفن من زينة ، وتحثهن الآية على التزام القصد فيما أباحت لهن ، وتصف الاحتشام أمام الغرباء بالعفة حيث تقول : (وأن يستعففن خير لهن) .

٤ ـ يقول تعالى :

« يانساء النبى لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا . وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلوة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا . »

(الأحزاب : ٣٢ ـ ٣٣)

الحديث فى هاتين الآيتين موجَّه إلى نساء النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو يتضمن أمرهن بأن يلزمن بيوتهن ولا يصنعن صنيع الجاهليات فى التبرج ، وبأن يقصدن فى محادثة الرجال إذا دعت إليه ضرورة فيذهبن به مذهب الجد والحزم والايجاز ، وبأن يقمن شعائر الدين من صلاة وزكاة ويلزمن حدود الله . وتعلل الآية ذلك كله بأنه سبيل الطهارة والبعد عن مظان الريبة وأطماع مرضى القلوب .

وقد يظن بعض الناس أن توجيه الحديث فى هاتين الآيتين إلى نساء

الرسول ﷺ يعنى أنهن قد خصصن به دون سائر المسلمات ، وأن حكمه لايتعداهن إلى غيرهن ، وهو خطأ ظاهر . فرسول الله ﷺ هو قدوة المسلمين ومثلهم الأعلى ، ونساؤه قدوة المسلمات ومثلهن الأعلى ، فالله سبحانه وتعالى يقول :
لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا .

(الأحزاب : ٢١)

فاذا كان هذا هو الأحوط وهو الأطهر وهو الأدعى إلى إذهاب الرجس عن بيت سيدنا رسول الله وعن نسائه الطاهرات رضوان الله عليهن ، فلا شك أن عامة المسلمات ـ وهن أبعد عن العصمة جدا ـ أحوج إلى الأخذ به والتزامه . وإذا كانت إلانة القول وإطالته فى غير موجب من جانب نساء الرسول ـ وهنَّ أمهات المؤمنين ـ مظنة اطماع مرضى القلوب ، فكيف يكون الحال بالقياس إلى سائر المسلمات اللاتى لايحيطهن من أسباب العصمة وذود الشر ودفع الاطماع والاغراء ما كان يحيط بنساء الرسول ﷺ ؟

٥ ـ يقول تعالى :

يأيها الذين آمنو لاتدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستئنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذى النبى فيستحى منكم والله لايستحى من الحق واذا سألتموهن متاعا فسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما .

(الأحزاب : ٥٣)

هذه الآية خاصة بنساء النبى ﷺ أيضا ، وهى تنبه المسلمين إلى أن يخففوا عند زيارته والإلمام ببيته ، وان لايثقلوا بإطالة الحديث بعد قضاء حاجاتهم أو تناول ما دعوا اليه من طعام . كما تأمرهم إن احتاجوا إلى

طلب شيء من نساء الرسول أن يكون حديثهم اليهن من خلف ستار يحجب كلا منهم عن الآخر . وتعلل الآية الكريمة ذلك بأنه أدعى الى طهارة الطرفين وأحوط فى تجنب أسباب الفتنة . وليت شعرى إذا كان نساء النبى ـ وهنَّ من هنَّ ـ وصحابة رسول الله ـ وهم من هم ـ مأمورين بذلك ، فكيف لانكون نحن مأمورين به ؟

٦ ـ يقول تعالى :

ومن لم يستطع منكم طَولا أن ينكح المحصنات المؤمنات **فمما ملكت** أيمانكم من فتياتكم المؤمنات والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن بإذن أهلهن وأتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان فإذا احصن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشى العنت منكم وأن تصبروا خير لكم والله غفور رحيم . يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم . والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما . يريد الله أن يخفف عنكم وخُلق الإنسان ضعيفا .

(النساء : ٢٥ ـ ٢٨)

المخاطبون بهذه الآيات هم الذين لاتساعدهم ظروفهم المالية على الزواج ودفع مهور الحرائر من النساء . والآيات تبيح لمن لايستطيع الصبر من هؤلاء أن يتزوج من الإماء بعد أن يدفع مهورهن إلى مواليهن . وتنهى عن أن يكون سبيل التنفيس عن شهوات الذين لايجدون إلى ضبطها سبيلا هو الزنا بهؤلاء الإماء أو عقد الصلات معهن فى السر واتخاذهن عشيقات أو صديقات ـ على ما يحلو لبعض الناس فى هذه الايام ان يسميهن تقليدا لمذهب الفرنجة فى تسميتهن . (Girl friends) ولكنها تنصح لهم بالصبر حتى لايجنوا على أولادهم من هؤلاء الاماء بجعلهم ارقاء . ويقول الله تبارك وتعالى إن (الصبر خير) ، بينما يسمى الفرويديون الصبر وضبط النفس والتحكم فى الرغائب

والشهوات كبتا . ويرتبون على هذا الكبت ما شاءت لهم شياطينهم من الامراض النفسية . فليختر المسلمون لأنفسهم بين الكفر والايمان ، وبين ما أوحى الله إلى نبيه وما أوحت شياطين الجن إلى شياطين الإنس .

وتختم الآيات هذا الحديث بأن الله سبحانه وتعالى عليم يعرف حقائق شؤونكم ودقائقها ، حكيم يضع الاشياء فى مواضعها . فهو - سبحانه وتعالى - يرشدكم إلى سبيل الطهارة والتوبة ويبين لكم طريق الرشاد والصلاح ، ويخفف عن الضعفاء منكم فيرسم لهم ما يحتملون ولا يكلفهم مالا يطيقون . يريد الله سبحانه وتعالى أن يعود بكم إلى طريقه الموصلة للخير والمنقذة من الضلال ، بينما يريد الذين يتبعون الشهوات ان يميلوا بكم عن طريق الهداية والنجاة ميلا عظيما .

هذه جملة من الآيات صريحة الدلالة فيما تأخذ به المسلمين والمسلمات فهى تأمرهم :

١ - بستر جسم المرأة كله - ومنه شعر الرأس - وتجنب إبداء المفاتن والتزين أمام الغرباء من غير المحارم .

٢ - بتجنب التسكع فى الطرقات واستعراضها فى غير حاجة ، وبالإستقرار والإكتنان فى البيوت .

٣ - بتجنب التحدث إلى الرجال . فإذا دعت إلى ذلك ضرورة فليكن بين الرجل والمرأة ستار ، وليكن الحديث اميل إلى القصد ، وعلى قدر ما تقضى به الضرورة .

٤ - بغض البصر عند التقائه بالرجال . والرجال مأمورون بمثل ذلك عند التقاء نظرهم بالنساء .

٥ - بالزواج لمن استطاعه ، وبالصبر وضبط النفس لمن أطاقه ، وبالزواج من الاماء لمن لايطيق الصبر ولا يجد مهر الحرائر . أما اتخاذ الخليلات ومقارفة البغايا فهو محرم يحذر منه الدين .

ولا أظننى محتاجا بعد ذلك كله إلى إطالة القول فى أن التزام هذه

القواعد التى يأمر بها الشرع أمر قاطع لايدع مجالا للتوفيق بين إسلام المسلمين ، وبين مذاهب دعاة المجتمعات المختلطة فى شتى صورها وأشكالها .

هذا هو حكم الدين لمن أراد أن يقيمه . وتلك هى حدود الله لمن أراد أن يلتزمها . وذلك هو الخير لمن اسلم وجهه لله وآمن بالكتاب كله ، لايحكم هواه أو أهواء الذين يضلون بغير علم ممن يتبعون الظن ، فيأخذ ببعض ويدع بعضا ، ولايطلب دليلا على ما أمر به ، ولكنه ينقاد اليه سواء ظهر له وجه الخير فيه او خفى عنه . لأن الدين يقوم على مجموعة من المسلمات يلتقى عندها الناس على اختلاف أفكارهم وأمزجتهم وبيئاتهم ، فيصبحون فى اتحادهم امة واحدة ، ويصبحون مع تعددهم كالفرد الواحد وكالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، ويصبحون فى توادهم وتراحمهم كالجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالحمى والسهر ، وذلك هو اقصى ما يطمح إليه التفكير السياسى من التماسك والتآلف والاستقرار والاطمئنان .

أما الذين لا يلزمون أنفسهم حدود الله ، ولا ينقادون لما أمر به فلنا معهم حديث آخر . وإلى هؤلاء نقول :

قد اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى ان يكون جميع خلقه من ذكر وأنثى . تجد ذلك فى الحيوان وفى النبات وفى الظواهر الطبيعية كالكهرباء والمغناطيس ، وتجده فى الكرة الأرضية نفسها ، فأحد قطبيها سالب والاخر موجب ، وتجده فى أدق دقائق الخلق وألطف وحداته ، وهى الذرة . و ﴿ سبحن الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لايعلمون ﴾ . (يس : ٣٦)

ومن طبيعة الأزواج فى كل هذا الخلق أن تتجاذب . فالذكر والانثى فى النوع الواحد يتجاذبان حتما حسب ما بنى الله عليه طبيعة كل منهما وحسب ما هدى إليه من فطرة ، و ﴿ سبحان الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾ (طه : ٥٠) فميل الرجل للمرأة وميل المرأة للرجل

إذن هو جزء من قانون عام اقتضته حكمة الله سبحانه ، لاسبيل إلى تجنبه او انكاره . وليس من المطلوب ولا هو مما يرغب فيه ويسعى إليه أن يخفف هذا الميل أو يعمل على إضعاف حدته .

ثم ان اطلاق الامر فى تجاور الرجل والمرأة واختلاطها لا يخلو من احد أمرين : فهو إما أن يؤدى إلى إثارة الشهوة فى الجنسين وزيادة حدتها ، أو يؤدى إلى إضعافها وكسر حدتها . فإذا كان الاختلاط مؤديا إلى تجاذب الذكر والانثى على ما ركب فى طبيعة كل منهما ولم تكن هناك حدود لهذا الاختلاط أو نظام مرسوم تحول الأمر إلى فوضى لاضابط لها . وعند ذلك يشيع الأذى بين الناس بشيوع الامراض التى قدر الله سبحانه أن يضرب بها الذين يقارفون الفاحشة من الزناة ، ويفسد المجتمع ويضطرب نظامه ويتمزق شمل جماعته ويموج بعض الناس فى بعض ، بتكاثر الأحقاد والضغائن بين الآباء الذين أوذوا فى بناتهم ، والأزواج الذين أوذوا فى نسائهم ، والاولاد الذين أوذوا فى أمهاتهم ، وبين المتنازعين والمتنازعات والمتنافسين والمتنافسات على العشيق الواحد والعشيقة الواحدة . وذلك كله مما لاخير فيه ، ومما لاتسعى اليه جماعة من الناس تنشد الوحدة والطمأنينة والسلام ، ولا تسلك سبيلاً تظن أنه يؤدى إليه . ذلك هو أحد الفرضين .

أما الفرض الاخر فهو ان التجاور بين الرجال والنساء وكثرة اللقاء بينهم وبينهن أفرادا وجماعات موجب لإضعاف التجاذب بخفوت صوت الشهوة الجنسية وإضعاف حدتها أو تحويلها عن وجهها وأسلوبها ، على مايزعمه الزاعمون من بعض الباحثين فى الدراسات النفسية ، الداعين إلى تهذيب الغريزة الجنسية أو التنفيس عنها ، ومعنى هذا أن يجد كل من الذكور والاناث لذتهم فى مجرد الاستمتاع بالحديث أو النظر ، وأن طول التجاور والتقارب يولد فى نفوسهم ونفوسهن شيئا من الإلف لاتثور معه الرغبة فى استمتاع جسد كل منهم بجسد الجنس الاخر عند رؤيته ، بل مع قربه منه وملاصقته له . وذلك كله أمر معقول ومحسوس يؤيده

المنطق والتجربة ، لأن إلف النفس للشيء وتكرار اعتيادها إياه يضعف اثره فيها ، فالذى يطيل المكث فى مكان عفن نتن يفقد الاحساس بعفنه ونتنه على مر الزمان ، والذى يدمن شم رائحة زكية يفقد الاحساس بطيبها بعد وقت قصير أو طويل ، والذى يتعود لمس الاجسام الساخنة أو الشديدة البرودة يفقد الاحساس بحرارتها أو برودتها مما لايطيقه غيره من الذين لم يدمنوا ممارسة ذلك . وكذلك الشأن فى الرجال والنساء . فالذين يسكنون المدن من الرجال لايثير غرائزهم الجنسية رؤية أذرع النساء وسوقهن وصدروهن ، بل إن بعضهم لايثيره رؤية الجسد عاريا معروضا فى أكثر الاوضاع إغراء على شواطىء البحر فى الصيف أو فى مراسم الرسامين من هواة رسم الاجساد البشرية العارية . وفى هؤلاء الرجال من كان يعيش فى الريف من قبل ، وكان يثير شهوته مجرد الاستماع إلى صوت المرأة أو مجرد النظر إلى وجهها أو يدها أو رجلها ، فضلا عن مجالستها أو مصافحتها . ذلك أمر صحيح تثبته التجربة ويؤكده الواقع ، والذى يذهب إليه دعاة تهذيب الشهوة صحيح من بعض نواحيه ، وإن كان كثير من الشهوات الجامحة الجارفة يستعصى على الترويض وينطلق إلى الفتك والافتراس ويفلت زمامه من المروضين . وأغلب الظن ان ادمان الخضوع للتجربة على تعاقب الايام قد ينتهى الى ما يريده المروضون من دعاة التهذيب . ولكن أى شىء يمكن ان يسمى هذا الذى يسعون اليه ويبذلون الجهود لتحقيقه ؟ أليس هذا هو البرود الجنسى عينه ؟ إذا رأى الرجل المرأة فلم يثر فيه هذا اللقاء ما يثور عادة فى الرجال عند رؤية النساء ، واذا رآها بعد ذلك عارية الاذرع والسوق والصدور والظهور ، بارزة النهود والاوراك ، فكان قصارى ما يلتذ به هو الحديث والنظر ، ولم يستتبع هذا الحديث والنظر أى اندفاع أو رغبة فى ممارسة الصلة الجسدية ، وإذا تشابكت الاذرع بالاذرع والتفت السوق بالسوق ولامست الأجساد الأجساد صدرا لصدر وبطنا لبطن ثم لم يطرأ على الرجل أى تغيير جنسى

جسدي ، وكان قصارى ما يستتبعه ذلك كله هو أن تسرى فى جسده نشوة لاتدفع به إلى الحالة الإيجابية العضوية ، أليس يكون قد بلغ عند ذلك ما يسمى بالبرود الجنسى ؟ وهو عند ذلك برود مزدوج يشمل الطرفين كليهما : الرجل والمرأة ؟ ثم ، أليس البرود الجنسى مرضا يسعى المصابون به إلى الاطباء ، يلتمسون عندهم البرء والشفاء من أعراضه ؟ فكيف اذن نجعل هذا المرض غاية من الغايات نسعى اليها باسم التنفيس عن الكبت أو تهذيب الغريزة الجنسية ؟ وكيف يكون الحال لو تصورنا هذا الناموس ـ ناموس تجاذب الذكور والإناث ـ وقد « تهذب » فى سائر خلق الله ، فبطل تجاذب السالب للموجب ، أو فتر ، فأصبح من غير المؤكد أن يترتب على التقائهما التوق الشديد والميل العنيف الذى لايقاوم إلى الاندماج الكامل ؟ أليس يفسد الكون كله ؟

﴿ ولو اتبع الحق اهو اءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن بل اتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون ﴾ . (المؤمنون : ٧١)

ثم ان هذا البرود الجنسى متفاوت الدرجات ، يختلف قوة وضعفا باختلاف درجات المجتمعات فى الاخذ بمبدأ المجتمع المختلط ورفع الحواجز بين الذكران والاناث ، ولكنه ـ فى غير الحالات المرضية الشديدة التى تعرض النوع البشرى للفناء بانقطاع النسل ـ يستتبع نتيجتين خطرتين : ضعف النسل وتخلفه وانحطاط خصائصه ، وانتشار الشذوذ الجنسى واستفحال دائه .

أما النتيجة الأولى فهى ترجع إلى أن حدة الشهوة وقوتها سبيل إلى تحسين النسل وداعية إلى إبراز أحسن خصائصه وأفضل صفاته ، كما ان فتور الشهوة وبرودها سبيل إلى ضعف النسل وداعية إلى تدهور خصائصه وانحطاط ـ صفاته . ومما يتفق مع هذا المذهب فى النتيجة ـ وإن اختلف معه فى التعليل ـ ما يذهب اليه علماء الوراثة من التنبيه الى

خطر زواج الاقارب ومضاره[1] . ويؤيده تأييدا قويا تحريم الشريعة الاسلامية زواج أخوات الرضاعة ، فمن الواضح أنه مبنى على اعتبار الغرباء الذين لاتربطهم قرابة الدم ممن تجاوروا حتى ازداد ألف أحدهما للاخر فى حكم أقرباء الدم . هذه حقيقة معروفة تقطع بهاالمشاهدة وتجارب الاجيال المتعاقبة ، وتؤيدها الشرائع الثابتة ، وهى تشمل الإنسان والحيوان على السواء . ومن مظاهر تطبيقها على الحيوان إبعاد الذكور عن الإناث وعدم السماح باختلاطهما إلا عند اللقاح . ومن علامات صحتها فيما أزعمه انحطاط خصائص الجنس البشرى فى الهمج من العراه الذين لا يزالون يعيشون فى المتاهات والادغال على حال تقرب من البهيمية ، فإنهم لايأخذون طريقهم فى مدارج الحضارة الا بعد أن يكتسوا . ويستطيع المراقب لحالهم فى تطورهم ان يلاحظ أنهم كلما تقدموا فى الحضارة زادت مساحة الأعضاء الكاسية من أجسادهم . كما يستطيع أن يلاحظ أن الحضارة الغربية فى انتكاسها تعود فى هذا الطريق القهقرى درجة درجة حتى تنتهى إلى العرى الكامل فى مدن العراه ، التى اخذت فى الانتشار بعد الحرب العالمية الاولى ثم استفحل داؤها فى السنوات الاخيرة .

---

(١) علماء الوراثة لا يعتبرون أن قوة الشهوة أو ضعفها هى العلة فى قوة النسل وضعفه ، لأنهم يردون قوانين الوراثة إلى عوامل مادية خالصة . ويزعمون أن ما يسمونه (الكروموسومات) بما تحتوى عليه من (الجينات) التى تصور الخصائص المختلفة هى وحدها التى تتحكم فى الوراثة ، بما تحمله البويضات والحيوانات المنوية منها ، فتنحدر بعض هذه الصفات والخصائص من الاسلاف إلى الأبناء والأحفاد حسب قوانين معينة رتبوها . ولكن علماء الوراثة مع ذلك يعترفون بأن (الجينات) تكاد تكون شيئاً افتراضياً لم يره أحد ولا يمكن تحديد عددها فى الكروموسوم الواحد أو وصفها أو بيان خصائصها . هذا إلى أن فرضهم هذا لا يستقيم مع كثير من الظواهر التى لا يمكن حلها على أساسه ، مثل ظواهر الوراثة المتحدة الأزمنة ، ومثل ظواهر الوراثة بالتأثير ، ومثل وراثة الحالات العارضة وقت العلوق ، ومثل قانون وراثة الصفات الخارجة عن المعتاد . على أن بين علماء الوراثة من أنكر نظرية (الكروموسومات) التى يترتب عليها عدم قابلية الصفات المكتسبة للوراثة ، مثل لزنكو Lysenko . ثم أن علماء الوراثة جميعاً يعترفون بما يسمونه (الطفرة) ، كما يعترفون بعجزهم عن تعليلها ، وبقصور قاعدة (الكروموسومات) المادية عن تعليلها ، بل ومناقضتها لها . وموضع الشغف فى كل النظريات التى يكتشفها الباحثون أن أصحابها يظنون حين يطلعون على بعض الحقائق والأسباب أنهم قد أحاطوا بكل الحقائق والأسباب . وذلك ما لا يحصيه إلا الله وحده سبحانه وتعالى . ثم إنهم لا يقرون إلا بما يخضع للحس والتجربة .

وقد أدرك قدماء العرب ذلك بالتجربة والملاحظة ، فوصف ابو كبير الهذلى فارسا عربيا مشهورا من صعاليك العرب ـ وهو تأبط شراً ـ بأن أمه قد حملت به وهى أشهى ما تكون إلى زوجها ، حين لم تكن مرضعا ولم تكن فى أعقاب حيض ، حتى لقد صور اباه فى هياج شهوته وكأنه قد اغتصب أمه اغتصابا وأخذها غلاباً ، وذلك حيث يقول[1] :

ممن حملن به وهن عواقد
حبك النطاق فجاء غير مهبل

ومبرإ من كل غبر حيضة
وفساد مرضعة وداء مغيل

حملت به فى ليلة مزءودة
كرها وعقد نطاقها لم يحلل

فأتت به حوش الفؤاد مبطناً
سهداً اذا ما نام ليل الهوجل

وأدرك ذلك ايضا الامام الجليل ابو حامد الغزالى ، فجاء فى كتابه « احياء علوم الدين » من بين ما سرده فى الخصال المطيبة لعيش الزوجين قوله[2] .

« ثامنا : ان لاتكون من القرابة القريبة . فإن ذلك يقلل الشهوة . قال ﷺ (لاتنكحوا القرابة القريبة فإن الولد يخلق ضاوياً) . وذلك لتأثيره فى تضعيف الشهوة . فإن الشهوة انما تنبعث بقوة الاحساس بالنظر واللمس ، وإنما يقوى الاحساس بالأمر الغريب الجديد ، فأما

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزى ١ : ٨٤ ـ ٨٦ ط مصطفى محمد ١٣٥٧ .
(٢) ج ٤ ص ١٣٢ ـ ١٣٣ ط لجنة نشر الثقافة الاسلامية ١٣٥٦ .
(٣) قال الحافظ العراقى فى تخريج الاحياء ٢ / ٤١ : قال ابن الصلاح : لم أجد له أصلا معتمدا . قلت أنما يعرف من قول عمر انه قال لآل السائب : قد أضويتم فانكحوا فى النوابغ . رواه ابراهيم الحربى فى « غريب الحديث » وقال معناه تزوجوا الغرائب . (ش) .

المعهود الذى دام النظر اليه مدة فإنه يضعف الحس عن تمام إدراكه والتأثر به ، ولا تنبعث به الشهوة » . إهـ .

أما النتيجة الثانية الخطيرة لشيوع البرود الجنسى وهى انتشار الشذوذ واستفحال دائه فهى راجعة الى ان الرجل الذى ألف أن يقع نظره على مفاتن المرأة فلا يثور ، يحتاج لكى يثور إلى مناظر وأوضاع تخالف ما ألف . ثم إن إصابته بالبرود تحرمه لذة من أكبر اللذائذ ، ومتعة من اعظم ما ينطوى عليه الناموس من المتع ، وهى متعة تسكن عندها النفس ويطمئن القلب ويستقر الاضطراب . ومصيبته هذه بالبرود الجنسى تحرمه من الاحساس بذكورته فيعانى أشد الألم مما يحسه فى أعماق نفسه من الذلة والمهانة . ويدفعه ذلك إلى أن يحاول تحقيق متعة الاتصال الجنسى وإثباتها من كل الوجوه ، عن طريق التقلب بين الخليلات وبائعات الهوى والتماس الشاذ الغريب من الأساليب والأوضاع ، رجاء انبعاث ما ركد من ذكورته . وقد تدفعه مع ذلك إلى إغراق نفسه فى المخدرات تعويضا لما فقده من لذة ، أو إلى الإجرام أو المغامرة إثباتا لذكورته من وجه آخر .

ومثل هذا الشذوذ يشمل المرأة والرجل على السواء ، لأن البرود الجنسى الذى يؤدى إليه هذا الاختلاط ـ بل الذى يسعى اليه دعاة الاختلاط ـ برود ذو شقين ، لا يحقق ما يزعمونه من أهداف إلا إذا شمل الذكر والانثى ، فانتفت الرغبة الجنسية الجسدية فى الطرفين كليهما عند اللقاء وعند اللعب وعند الممازحة والمراقصة . ويستطيع القارىء ان يتتبع هذه الظاهرة فى المجتمع الغربى ليتبين آثارها المدمرة فيه ، وهى آثار لا مفر معها من مثل مصير الذين خلوا من البائدين ﴿ فلن تجد لسنة الله تبديلا ، ولن تجد لسنة الله تحويلا ﴾ .

وأنا أعلم أن كثيراً من الناس لايقع منهم الدليل موقع الإقناع إلا إذا نسب إلى الغرب . وإلى هؤلاء أسوق بعض ما نقلته صحف لاتتهم عندهم بالرجعية عن علماء الغرب وهيئاته . فمن ذلك ما نقله

« المصور » (العدد ١٦٨٩ ص ٤) عن الاستاذ بيتريم ساروكين مدير مركز الأبحاث بجامعة هارفارد فى كتاب له صدر أخيرا بعنوان (الثورة الجنسية) ، حيث يقرر أن أمريكا سائرة بسرعة إلى كارثة فى الفوضوية الجنسية ، كما يقرر أنها متجهة إلى الإتجاه نفسه الذى أدى إلى سقوط الإمبراطورية الإغريقيـة ثم الإمبراطورية الرومانية فى الزمان القديم . ويقول فى ذلك الصدد (إننا محاصرون من جميع الجهات بتيار مطرد من الجنس يغرق كل غرفة من بناء ثقافتنا وكل قطاع من حياتنا العامة . وهذه الثورة التى تعبر بنا آخذه فى تغيير حياة كل رجل وكل امرأة فى امريكا أكثر من اي ثورة أخرى فى هذا العصر) .

ومن ذلك ماجاء فى صحيفة « الاخبار » (عدد ٢٦ محرم ١٣٧٧ ص ٢ تحت عنوان : عالم امريكي يقول إن المرأة الامريكية باردة) حيث نقلت ماصرح به الدكتور جون كيشلر أحد علماء النفس الامريكيين فى شيكاغو ، حين قال : (إن ٩٠ فى المائة من الامريكيات مصابات بالبرود الجنسى ، وأن ٤٠ فى المائة من الرجال مصابون بالعقم . وقال الدكتور : إن الاعلانات التى تعتمد على صور الفتيات العارية هى السبب فى هبوط المستوى الجنسى للشعب الامريكى) .

ومن شاء المزيد فليرجع إلى تقرير لجنة الكونغرس الامريكية لتحقيق جرائم الأحداث فى أمريكا ، الذى نقلته مجلة « التحرير » (العدد ٢٣٤ تحت عنوان : أخلاق المجتمع الأمريكى منهاره) . وهو يشير إلى إرتفاع نسبة تعاطى المخدرات بين الأحداث ، وانتشار الحانات التى تقدم الخمور وكتب الجنيس وقصص الجنس وأفلام الجنس وانتشار نوادى العراة بكثرة مخيفة على الشواطىء الشرقية خاصة . ومن شاء فليرجع كذلك إلى تقرير اللجنة التى شكلها مجلس العموم البريطانى للتحقيق فى مشكلة الشذوذ الجنسية ، فانتهت من بحثها إلى اقتراح إباحته بعد الواحدة والعشرين ، وقد نشرته صحيفة « الأخبار » أخيراً .

مشكلة الشذوذ الجنسيه ، فانتهت من بحثها إلى اقتراح إباحته بعد الواحدة والعشرين ، وقد نشرته صحيفة « الاخبار » اخيراً .

وأحب أن أشير إشارة موجزة إلى بعض مزاعم يؤيد بها دعاة

الإختلاط مذهبهم الهدام . من ذلك ما يزعمه بعضهم من أن الريف العربى كله ـ ومنه قرى مصر ـ يمارس الإختلاط . والواقع أنه ليس هناك اختلاط بين الرجال والنساء فى أيهما ، ولم يوجد هذا الإختلاط فى اى عصر من العصور . فسفور القروية أو البدوية شيء والمجتمع المختلط شيء آخر . وكل الناس يعرفون ان الزى الذى رسمه الاسلام للنساء من إطالة الثياب وتوسيعها ، إلى تغطية الرأس بالخمار . والضرب بفضوله على الصدر ، لايتوافر فى امرأة كما يتوافر فى القروية والبدوية . ومن المعروف كذلك ان السفور فى هذه البيئات لا يتجاوز معاونة المرأة لزوجها فى بعض الأعمال ، وهى معاونة محدودة فيما تستطيعه ، مثل نقل الحطب أو جنى الثمار أو القيام على الدواب أو نقل بعض المتاع والغذاء . على أنها لاتفعل شيئاً من ذلك إلا بدافع الفقر والحاجة . أما السراة فنساؤهن مصونات فى البيوت . لذلك كان الشاعر العربى إذا وصف المرأة الكريمة قال إنها (نؤوم الضحى) . على أن التى يلجئها الفقر إلى الخروج لاتخاطب الغرباء إلا بقدر ما تدعو إليه الحاجة الماسة الضرورية . وهى تضع طرف خمارها بين يدها وبين يد الرجل إذا سلمت عليه . ومن المؤكد على كل حال أنها لا تجالس الرجال فى أسمارهم أو عقودهم ، بل ولا تشارك أهل بيتها من الرجال على المائدة فى بعض الأحيان . فأين ذلك كله من المجتمع المختلط ؟

ومن هذه المزاعم كذلك ما يروجونه من أن الأخطاء التى نشاهدها الان من آثار الاختلاط سوف تزول كما زالت فى الغرب حسب زعمهم . وواقع الأمر أن الاخطاء لم تزل فى الغرب ، ولكن حياء الغربيين والغربيات هو الذى زال . ونحن ناس خُلق ديننا الحياء ، والحياء خير كله كما قال سيدنا رسول الله . إن الذى يدمن الحياة بين نتن الجيف وعفن الاقذار يفقد الاحساس بالنتن والعفن ، ولكن هذا لايعنى أن النتن قد زال .

ومن أعجب ما يلجأ إليه دعاة الاختلاط فى بعض دعاياتهم أنهم يعارضون الاسلام بما جرى عليه العرف عند بعض البائدين كالفراعنة ، أو بمذاهب بعض الدراسات الإجتماعية والنفسية الحديثة . ومعارضة الإسلام بهذه أو بتلك لاتصدر إلا من جاحد بالله ورسالاته وكتبه ، لأن الفرعونية ليست دينا وليست مذهبا خُلقيا ، ولكنها عصر تاريخى قد يكون فاسدا وقد يكون ضالا وقد يكون كافرا بالله . وقد قطع الاسلام ما بين إبراهيم عليه الصلاة والسلام وبين أبيه ، وقطع ما بين نوح عليه السلام وبين ابنه ، وبين لوط عليه السلام وبين زوجته ، فكيف لا يقطع الاسلام ما بيننا وبين الكفار من الفراعنة ، والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ يا أيها الذين امنوا لاتتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون ﴾ (التوبة : ٢٣)

أما الدراسات النفسية والاجتماعية فهى الان دراسات موجهة تخضع لمذاهب الدارسين وأهوائهم . ولذلك فهى متشعبة إلى مذاهب ومدارس متباينة ، تتعرض لتغير دائم لا يكاد يستقر . فترك نصوص الدين الثابتة إلى هذه الفروض المتغيرة التى ينقض بعضها بعضا هو اتباع للظن المفرق للوحدة ، والباعث على التنازع المؤدى للفوضى والانحلال . ومن غير الجائز بوجه عام ، وفى أى حال من الأحوال ، ان يحتكم فى مثل هذه الشؤون إلى بعض مذاهب الناس قديما أو حديثا . فهذه المذاهب والاراء إن صلحت لدارس فنون الشعوب وعاداتها (الفولكلور) لكى يتصور منها صورة للمجتمع فى بيئاته المختلفة وفى عصوره المتتالية ، فهى لاتصلح فى كل الاحوال لأن تكون قدوة صالحة ، ولايصح ان تكون مذهبا خلقيا او اجتماعيا يعارض به مذهب الاسلام . فما اختلفنا فيه من شيء فمرده إلى كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لا إلى الفراعنه ، ولا إلى ما

اعتاده الناس وما جرى عليه العرف هنا أو هناك . ومن اعتراه أدنى شك فى أن مصالح الناس ومصلحة الوطن لاتتعارض مع الدين فقد أخرج نفسه من عداد المسلمين .

ثم إنى أحب فى آخر الأمر ان اضع بين يدى القارىء مقتطفات من خطة الصهيونية الكبرى للسيطرة على العالم عن طريق هدم كل ما فيه من قوى ، التى اكتشفت مخطوطاتها وذاع سرها للمرة الأولى فى اواخر القرن التاسع عشر ، وهى الخطة المشهورة بإسم « بروتوكولات حكماء صهيون » فقد تعين على تدبر بعض ما ذكرته .

جاء فى البروتوكول الأول : (يجب ان ننظر الى اولئك السكارى الذين تبلدت اذهانهم بفعل الخمر . ان الحرية اتاحت لهم هذا الافراط والادمان . . .

إن الشعب لدى المسيحيين اضحى متبلدا تحت تأثير الخمر ، كما أن الشباب قد انتابه العته لانغماسه فى الفسق المبكر الذى دفعه اليه اعواننا من المدرسين والخدم والمربيات اللاتى يعملن فى بيوت الاثرياء ، والموظفين والنساء اللاتى تعملن فى أماكن اللهو ، ونساء المجتمع المزعومات اللواتى يقلدنهن فى الفسق والترف) .

وجاء فيه ايضاً : (لقد كنا اول من صاح فى الشعب فيما مضى « بالحرية والاخاء والمساواة » ، تلك الكلمات التى راح الجهلة فى انحاء المعمورة يرددونها بعد ذلك دون تفكير او وعى . . . ان نداءنا « بالحرية والمساواة والاخاء » اجتذب الى صفوفنا من كافة اركان العالم ، وبفضل اعواننا ، افواجا بأكملها لم تلبث ان حملت لواءنا فى حماسة وغيرة . وكانت هذه الكلمات ـ فى ذلك الوقت ـ تسىء الى الرخاء السائد لدى المسيحيين وتحطم سلمهم وعزيمتهم ووحدتهم ، عاملة بذلك على تقويض دعائم الدولة . وأدى ذلك العمل إلى انتصارنا) .

وجاء فى البروتوكول الثانى : (. . أما غير اليهود فإنهم لايستفيدون من تجارب التاريخ التى تمر بهم ، ولكنهم يتمسكون بنظريات روتينية

دون تفكير فى النتائج التى قد يسفر عنها هذا المسلك ، لذلك فنحن لا نعير غير اليهود أية اهمية ، فليلهوا ما طاب لهم اللهو حتى ينقضى الوقت . وليعيشوا على أمل ملذات جديدة او فى ذكرى متع سالفة ، وليعتقدوا ان هذه القوانين النظرية التى اوحينا بها اليهم ذات اهمية قصوى ، فبهذا الاعتقاد الذى تؤكده صحافتنا نزيد من ثقتهم العمياء فى هذه القوانين . . . يجب ان لا يكون هناك اعتقاد فى ان مناهجنا كلمات جوفاء . فنحن الذين هيأنا لنجاح دارون وماركس ونيتشه[١] ، ولم يفتنا تقدير الاثار السيئة التى تركتها هذه النظريات فى اذهان غير اليهود) .

وجاء فى البروتوكول الرابع : (إن لفظة الحرية تجعل المجتمع فى صراع مع جميع القوى ، بل مع قوة الطبيعة وقوة الله نفسها . . . على ان الحرية قد لاتنطوى على اى ضرر ، وقد توجد فى الحكومات وفى البلاد دون ان تسىء الى رخاء الشعب ، وذلك اذا قامت على الدين والخوف من الله والاخاء بين الناس المجرد من فكرة المساواة التى لتعارض تماما مع قوانين الخليقة ، تلك القوانين التى نصت على الخضوع . والشعب باعتناقه هذه العقيدة سوف يخضع لوصاية رجال الدين ويعيش فى سلام ويسلم للعناية الالهية السائدة على الارض ، رمن ثم يتحتم علينا ان ننتزع من اذهان المسيحيين فكرة الله والاستعاضة عنها بالارقام الحسابية والمطالب المادية) .

وجاء فى البروتوكول الخامس : (ولكى نطمئن الى الرأى العام يجب بادىء ذى بدء ان نربكه تماما فنسمعه من كل جانب وبشتى الوسائل اراء متناقضة لدرجة يضل معها غير اليهود الطريق فى تيههم ، فيدركون حينئذ ان أقوم سبيل هو أن لايكون لهم اى رأى فى الشئون

---

(١) من المعروف أن (فرويد) رأس المزاعم النفسية الحديثة التى تستند إلى ماسماه العقل الباطن ، والتى تجعل الغريزة الجنسية محور الشخصية الإنسانية يهودى . بل لقد كان معروفاً بتعصبه المفرط لليهود فلم يكن يختار مساعديه وأعوانه إلا منهم .

السياسية . . . والسر الثانى الملازم لنجاح حكومتنا يقوم على مضاعفة الاخطاء التى ترتكب والعادات والعواطف والقوانين الوضعية فى البلاد لدرجة يتعذر معها التفكير تفكيرا سليما وسط تلك الفوضى . . . وسوف تساعدنا تلك السياسة كذلك على بث الفرقة بين جميع الاحزاب وعلى حل الجماعات القوية وعلى تثبيط عزيمة كل عمل فردى يمكن ان يعرقل مشروعاتنا) .

وجاء فى البروتوكول الثامن : (لا يتيسر اسناد المناصب الرئيسية فى الحكومة الى اخواننا اليهود . لذلك فإننا سنسند المناصب المهمة الى اناس من ذوى السمعة السيئة حتى تنشأ بينهم وبين الشعب هوة سحيقة ، او الى اناس يمكن محاكمتهم والزج بهم فى السجون اذا ما حالوا دون تنفيذ اوامرنا . والغرض من هذا هو إرغامهم على الدفاع عنهم مصالحنا حتى النفس الاخير) .

وجاء فى البروتوكول التاسع : (ولكى نحطم التنظيمات التى اقامها غير اليهود عاجلا ، فإننا قد دعمناها بخبرتنا وامسكنا بأطراف اجهزتها ، فقد كانت الاجهزة تسير فى الماضى بنظام صارم ولكن عادل ، فأحللنا محله نظاماً متحرراً غير منتظم ، ووضعنا يدنا على التشريع ، وعلى المناورات الانتخابية ، وتحكمنا فى ادارة الصحافة وفى نمو الحرية الفردية . والأهم من ذلك كله اشرافنا على التعليم وهو المعول الرئيسى للحياة الحرة) .

وبعد ، فإنى اسوق هذا الحديث الى دعاة المجتمع المختلط فى المدارس وفى الجامعات وفى الاندية والمجتمعات ، وفى المصانع والمتاجر ، وفى إدارات الحكومة ومحافلها ، وفى المعسكرات والمهرجانات ، حيث تعرض اجساد الطالبات وافخاذهن واذرعهن ومفاتن اجسادهن فى تمايلهن وتثنيهن باسم الرياضة والفن ، والتى انتهت اخيرا الى اجراء مسابقات للسباحة فى الجامعات تظهر فيها الطالبات عاريات الا من زى الشاطىء الذى لايستر من العورات الا ما

يضاعف فتنتها واغراءها ، وذلك على مشهد من الاساتذة والطلاب فى منشآت الجامعات الرياضية . الى هؤلاء جميعاً اسوق الحديث . ثم انى ارجىء الشطر الاخر من الموضوع ، وهو الخاص باشتغال المرأة بأعمال الرجال مما جرى عرف بعض الناس فى هذه الايام على تسميته « حقوق المرأة » الى حديث تال إن شاء الله .

الجنس الثالث

أحسن ما قرأته فى وصف النساء المترجلات ، اللاتى يأبين إلا الخروج على فطرتهن ، والزج بانفسهن فى ميادين الرجال ، تسمية احد كتاب الانجليز لهن « الجنس الثالث » . فالواقع ان هذه التسمية وصف صادق كل الصدق لهذه الطبقة الجديدة من النساء التى برزت مشكلتها فى المجتمع الاوروبى منذ اواخر القرن الميلادى الماضى ، بعد ان تكاثر عددها وطغى سيلها . ذلك لانهن قد فقدن انوثتهن فلم يعدن نساء ، وابتذلن اجسادهن وارخصن مفاتنهن حتى عافها الرجال وانصرفوا عنها . ثم ان فطرتهن وخلقتهن تأبى عليهن من بعد ان يدخلن فى عداد الرجال . من أجل ذلك سماهن ذلك الكاتب الانجليزى الحصيف « الجنس الثالث » ، بعد ان اخرجن انفسهن من عداد النساء واستحال عليهن ان يدخلن فى عداد الرجال ، فهن يخالفن الرجال طبيعة وتركيبا ، ويخالفن النساء وظائف واعمالا . « وقد درس هذا الاستاذ احوالهن درسا مدققاً فوجد انهن يتركن الزواج . وبانتزاعهن انفسهن من وظائفهن الطبيعية كالأمومة وما يتبعها قد تغيرت احساساتهن عن احساسات بنات جنسهن ، وصرن فى حالة من الكآبة تشبه اعراض الماليخوليا »(١) .

---

* نشرت فى عدد جمادى الآخرة سنة ١٣٧٧ من مجلة الأزهر .

أساءت المرأة نفسها وأساء اليها الذين ظاهروها وأعانوها ممن يزعمون انهم انصارها . فقد كانت ريحانة تشم ، فأصبحت مشكلا يتطلب الحل ، وكانت عرضا يصان وأمانة تحفظ ، فاصبحت حملا ثقيلا يضيق به الأب والاخ ويتحتم معه على المرأة ان تعمل لتعيش . نشأ الجيل السابق على ان يكفلها ويكفيها حاجتها ، وكان هذا التقليد عقيدة مركوزة فى اعماق كل نفس يحرسها الاجماع عليها ، ولا يخطر لاب او ابن او اخ او زوج ان يتخلى عنه ويخرج من عهدته ، فلما عملت المرأة لنفسها وشاع ذلك فى المجتمع ماتت هذه العادة ، وماتت معها المروءة التى كانت تدفع اليها ، والغيرة التى كانت سببا فى المحافظة عليها ، واصبحت المرأة اذا لم تبحث عن العمل من نفسها دفعها وليها اليه دفعا والزمها به الزاما . بل لقد اصبح القانون يلزمها بالعمل فى النظام الشيوعى ، واصبح الواقع يلزمها به فى النظام الرأسمالى . وأصبحت التى لا تعمل فى ايامنا لا تجد اللقمة ولاتجد الزوج ، لان الرجال ان عدموا ذوات المال من الزوجات بحثوا عن الكادحات الكاسبات . وكاد ذلك يصبح قانونا من قوانين حياتنا يقضى على المستعففات بالبوار والهلاك . فهل هذا هو ما يسميه الخادعون والمخدوعون والخادعات والمخدوعات « حقوق المرأة » ؟

وفى الوقت الذى يتجرع فيه الغرب آثار خروج المرأة على فطرتها ووظيفتها ، كان بعض كتابنا ومفكرينا ينادون بأن نأخذ فى ذلك الطريق الذى انتهى بالغرب الى ما هو فيه من مشاكل اجتماعية واقتصادية هزت دعائم مجتمعه هزا عنيفا افقده استقراره واتزانه وعرض سلامته وكيانه لاشد الاخطار . ولقد يبدو للدارس المتأمل ان المرأة لاتوضع الان حيث تدعو الحاجة ـ صحيحة كانت او مزعومة ـ الى ان توضع ، ولكنها توضع لاثبات وجودها فى كل مكان ، ولإقحامها على كل ما كان العقل والعرف ينادى بعدم صلاحيتها له . فليس المقصود بتوظيفها فى هذه

---

(١) « تربية المرأة » للاقتصادى المشهور محمد طلعت حرب ص ٢٨ ط مصر ١٣١٧ ه (١٨٩٩م) .

الايام سد حاجة موجودة ، ولكن المقصود هو مخالفة عرف راسخ ، وتحطيم قاعدة قائمة مقررة ، واقامة عرف جديد فى الدين وفى الاخلاق وفى الذوق ، وخلق المبررات والمقومات التى تجعل انسلاخنا من اسلامنا وعروبتنا وشرقيتنا امرا واقعا ، كما تجعل دخولنا فى دين الغرب ومذاهب الغرب وفسق الغرب امرا واقعا كذلك .

واخطر ما فى هذه الدعوة وأمثالها مما يراد به حملنا على كل فاسد من مذاهب الغرب ان اصحابها يريدون اقحامها على اسلامنا زاعمين انها لا تعارضه . وقد كان قاسم امين هو اول من جرأ الناس على تحريف النصوص حين طلع علينا بطائفة من المزاعم التى تقوم على المجازفة ، ومن النصوص المحرفة عن مواضعها والمخلوعة من سياقها خلعا يخرجها عن مدلولها ، وحين تصيد من كتب التاريخ ورواياته ـ على اختلاف درجاتها ودرجات مؤلفيها ـ كل شاذ غريب فحشدها فى حيز واحد وضم بعض اشتاتها الى بعض ، حتى خيل الى قارئها انها ـ على شذوذها وقلتها ـ شيء مألوف كثير الوقوع . ومع ان هذا الذى جمعه هو خلاصة ما فى الكتب ـ صحيحها وسقيمها ـ من غرائب الاخبار والآراء التى تصور حالات شاذة نادرة لاتنهض بها حجة ولا يبطل بها عرف ، ومع ان كثيرا من النصوص التاريخية او الفقهية التى أقتطفها ناقصة الدلالة غامضة العبارة ، فقد استطاع ان يروج ذلك كله بين الناس بمرور الايام ، بفضل قوة حزبه الذى كان يسميه اللورد كرومر حزب الشيخ محمد عبده[1] حتى اصبحت هذه النصوص من بعد ـ على فساد

---

(١) راجع نص تقارير كرومر المرفوعة إلى البرلمان الانجليزى (ط لندن) فى تقرير سنة ١٩٠٥ (المقدم إلى البرلمان الانجليزى فى أبريل ١٩٠٦) الفقرة ٧ ص ١٥ ـ ١٦ . وراجع كذلك تقرير سنة ١٩٠٦ (المقدم إلى البرلمان فى أبريل ١٩٠٧) فى الفقرة ٣ ص ٨ . وقد أوصى كرومر فى هذه التقارير وفى كتابه Modern Egypt بذلك الحزب خيراً وعلق على رجاله الآمال فى رعاية المصالح الانجليزية عن طريق إنشاء علاقات من الود والتفاهم بين الانجليز وبين المسلمين فى مصر .

«Reports by His Majety's Agent and Consul General on the Finances, Admmistration, and Condition of Egypt and the Sudan.

الاستدلال بها - هى البضاعة المشتركة لمتابعى دعوته ومطوريها . وذلك كله هو الذى دعا الشاعر شوقى - رحمه الله - الى ان يتساءل عن حقيقة صنيع قاسم امين : اهو غيرة المدافع عن النصوص الاسلامية ، ام هو اغارة المحرف لها عن مواضعها ؟ وذلك من قصيدة له القاها سنة ١٩٢٨م ، وعرض فيها للباقته فى الاستدلال ، وبراعته فى الجدال ، فقال :

ولك البيان الجزل فى ... اثنائه العلم الغزير
فى مطلب خشن كثيـ ... ـر فى مزالقه العثور
ما بالكتاب ولا الحديث ... إذا ذكرتهما نكير
حتى لنسأل : هل تغا ... ر على العقائد أم تغير ؟

وقد لا تكون هناك نصوص صريحة فى القرآن او فى الحديث تمنع المرأة من العمل فى خارج البيت لكسب عيشها حين تدعو الى ذلك ضرورة ، ولكن من المؤكد ان اتخاذ هذه السنة اصلا من اصول التنظيم الاجتماعى يخالف روح الشريعة ويناقض كثيرا من نصوصها ويتعارض مع كثير من شرائعها وحدودها تعارضا واضحا .

١ - قال تعالى فى كتابه العزيز :

﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم ﴾ (النساء ٣٤)

تشير الآية الى ناموس من نواميس الله الثابتة وهى قوامة الرجال على النساء ، وقد ناط سبحانه وتعالى حكمته فى ذلك بسببين ظاهرين : اولهما ان فطرة الرجل تخالف فطرة المرأة ، فهى تفضله فى تدبير شؤون البيت وتربية الولد والقيام عليه ، بما جبلت عليه من الحنان والرقة ومن التركيبُ العضوى الذى يعينها على وظيفتها مثل ضعف جهازها العصبى الذى يقلل احساسها بالاء الحمل والوضع ، وان كان يجعلها

فى الوقت نفسه اكثر استهدافا لانواع الامراض واسرع تهيجا واقوى انفعالا ، مما يؤثر فى سلامة التقدير وصحة الادراك ويجعلها اقل قدرة من الرجل على مجابهة الازمات والتماسك امام الشدائد والملمات . اما الرجل فهو يفضلها ـ لما سلف من الاسباب ـ فى القوة البدنية وفى قوة التفكير وصحة التقدير ورباطة الجأش ، مما يعده للكفاح ومعالجة المشاق ، والكدح وراء معاش الاسرة ، وفى سبيل الحفاظ على كيانها ودفع ما يتهدده من اخطار . والسبب الثانى الذى انبنت عليه هذه القوامة هو ان الرجل يتولى الانفاق ، لانه هو الذى يكسب المال حسب ما جبل عليه . فليس من العدل ان يكلف فرد بالانفاق على هيئة او جماعة ثم لا يكون له رأى فى الاشراف على مصارف هذه النفقة . وعلى ذلك تجرى الحكومات النيابية المعاصرة ، ويعتبر ذلك اصلا من اصول تشريعاتها .

فإذا جرينا على اعتبار عمل المرأة فى خارج المنزل وكدها فى سبيل كسب المال الى جانب الرجل اصلا من اصول تقنيننا الاجتماعى ، فقد اخرجناها عن وظيفتها من ناحية ، وقد اخللنا بما هو مقرر فى الاية الكريمة من قوامة الرجل عليها من ناحية اخرى ، لان هذه القوامة مبنية على اصلين : احدهما فضل الرجل على المرأة فى الصلاحية للعمل خارج البيت ، وثانيهما انه هو المكلف بالانفاق على الاسرة .

ومن المظاهر التشريعية لتطبيق الأصل الأول ـ وهو فضل الرجل على المرأة فى الصلاحية للعمل خارج البيت ـ ان شهادة المرأة لا تغنى عن شهادة الرجل ، ولابد من انضمام امرأتين اثنتين الى الشاهد الاول لكى تكون شهادتهما معادلة لشهادة رجل واحد وذلك بنص كتاب الله الحكيم فى قوله تعالى :

﴿ واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل إحداهما فتذكر احداهما الاخرى ﴾ .

(البقرة ٢٨٢)

فالآية الكريمة تعلل ذلك بأن المرأة التى ليس من شأنها ان تخالط الرجال فى شئون العمل والحياة ، والتى تتحفظ فى هذا الاختلاط ان دعتها الى ذلك الحاجة او ساقتها اليه المصادفة ، هى مظنة ان لاتعى تفاصيل الواقعة التى تدلى بشهادتها فيها كما يعيها الرجل . لذلك كانت فى حاجة الى ان تظاهرها امرأة اخرى فى هذه الشهادة حتى يقوم اتفاقهما مقام شهادة رجل واحد[1] .

ومن المظاهر التشريعية لتطبيق الاصل الثانى ـ وهو تكليف الرجل بالانفاق على الاسرة ـ أن نصيبه المقرر فى الميراث ضعف نصيب المرأة ، وذلك بنص قوله تعالى :

﴿ يوصيكم الله فى اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين ﴾

(النساء : ١١)

فاذا قررنا ان تعمل المرأة الى جانب الرجل فى مختلف ميادين العمل والانتاج والوظائف ، وجعلنا ذلك ـ اقتداء بالغرب ـ اصلا من اصول التنظيم الاجتماعى ، فقد ابطلنا كل هذه التشريعات القرآنية ـ اصولها وفروعها ـ لمغايرتها عند ذلك لظروف الحالة الجديدة الطارئة .

ومع ذلك كله فقوامة الرجل على المرأة لاتقتضى تفضيله عليها فى الدين او فى الدنيا : فالله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ فأستجاب لهم ربهم انى لااضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض ﴾ .

(آل عمران ١٩٥)

ولكن هذه القوامة قاعدة تنظيمية تستلزمها هندسة المجتمع واستقرار الاوضاع فى الحياة الدنيا ، ولا تسلم الحياة فى مجموعها الا بالتزامها . فهى تشبه قوامة الرؤساء واولى الامر ، التى لاتستلزم ان يكون الرؤساء افضل من كل المحكومين ، ولكنها مع ذلك ضرورة يستلزمها المجتمع

---

(١) وقد اعترف بهذا التفاوت بين الرجال والنساء فى الشهادة وأمثالها كثير من حكماء الغرب ولاسيما فى ايطاليا ، كما بسطه الأستاذ كامل أحمد ثابت من رجال القانون والقضاء فى كتابه (علم النفس القضائى) ص ٢٢ ، ٢٤ ، ١٢٣ .

الانسانى ، ويأثم المسلم بالخروج عليها مهما يكن من فضله على ولى الامر فى العمل او فى الدين .

٢ ـ يقول تعالى :

﴿ ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة ﴾
(البقرة ٢٢٨)

ويقول سبحانه :

﴿ وإن طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم الا ان يعفون او يعفوا الذى بيده عقد النكاح ﴾
(البقرة ٢٣٧)

والآيتان كلتاهما تؤكدان ما قررته الآية الأولى من قوامه الرجال على النساء . ومن مظاهرها فى الآية الثانية جعل عقدة النكاح فى يد الرجل ، وهى قوامة تسقط من تلقاء نفسها وتصبح داحضة بوضع المرأة مع الرجل على قدم المساواة فى ميادين العمل والكسب .

٣ ـ انبنت قوامة الرجل ـ كما سبق ـ على اصلين ، احدهما انه هو المكلف بالانفاق على الاسرة ، وفى الآية الاخيرة اشارة الى هذا الواجب المقرر ، فالرجل هو الذى يسوق المهر الى زوجته . ـ على عكس ما هو مقرر عند الغربيين الذين يزعمون انهم اكثر انصافا للمرأة ـ ويسقط نصف حقه فى هذا المهر ان طلق زوجته قبل ان يدخل بها . وهناك آيات اخرى كثيرة تؤكد هذا الواجب الملقى على عاتق الرجل ، واجب الانفاق على الاسرة وكفالتها . فمن ذلك قوله تعالى :

﴿ والوالدت يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ﴾
(البقرة ٢٣٣)

ومن ذلك ايضا قوله تعالى :

﴿ لاجناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة

ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين ﴾

(البقرة ٢٣٦)

ومنه قوله تعـالى :

﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون ازوجا وصية لأزواجهم متاعا الى الحول غير اخراج وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين ﴾

(البقرة : ٢٤٠ - ٢٤١)

وفى هذه الآيات تأكيد لما هو مقرر من تكليف الرجل بالانفاق . وهو تكليف يقوم على ان المرأة لا تعمل لكسب المال ، لانها مصروفة عنه الى غيره من الاعمال التى اعدتها لها فطرة الله التى فطر الناس عليها . فإذا اخذ المجتمع بأن تعمل المرأة عمل الرجال لزم تغيير هذه التشريعات . وتغيير هذه التشريعات يخرج المسلمين من اسلامهم لانهم مكلفون بالرجوع الى كتاب الله فى شؤون دينهم ودنياهم والاذعان له والتسليم بما جاء فيه ، لايحيدون عنه ولا يبدلونه ، ولان ماقرره القرآن من القوانين وما وضعه من الحدود منسوب الى الله سبحانه وتعالى ، محكوم على من يتجاوزه بالظلم والفسق بنص كتاب الله العزيز ، فالله سبحانه وتعالى يقول فى احد المنافقين ، وكان قد احتكم الى النبى عليه الصلاة والسلام ثم لم يرض حكمه فأعاد الاحتكام الى كعب بن الاشرف اليهودى :

﴿ يأيها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم فإن تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ذلك خير واحسن تأويلا . الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا . واذا قيل لهم تعالوا الى ماانزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى

انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ (النساء : ٥٩ - ٦٥)

ويقول تعالى بعد تبيين بعض احكام الطلاق :

تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون ﴾
(البقرة : ٢٢٩)

﴿ وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ﴾
(الطلاق : ١)

ويقول تعالى بعد تبيين احكام الميراث :

﴿ تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم . ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين ﴾
(النساء : ١٣ ، ١٤)

ومع ذلك كله فالله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ ولا تتمنوا مافضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما ﴾
(النساء : ٣٢)

نزلت هذه الآية حين قالت ام سلمة ونسوة معها : ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون لنا من الاجر مثل مالهم . فالآية تأمر الرجل والمرأة كليهما ان يلزم كل منهما وظيفته التي هيأه الله لها ، وتبين لهما ان الله سبحانه وتعالى يثيب المرأة على اخلاصها لوظيفتها مثل ثواب الرجل على اخلاصه لوظيفته .

ثم انى احب ان اسأل الذين يحاولون ان يسوغوا باطلهم الذي يقحمونه على اسلامنا بمزاعم يتحايلون على الصاقها بالدين ونصوصه . احب ان اسأل هؤلاء سؤالاً حاسما يفرق بين الحق والباطل : هل تعلمون ان احداً من المسلمين قد دعا قبل اليوم بدعوتكم ؟ فإذا كان

ذلك لم يحدث من قبل فهل تستطيعون أن تزعموا ان صحابة رسول ﷺ وفقهاء المسلمين قد غفلوا جميعا عن فهم نصوص دينهم ، حتى جاء هؤلاء الذين 'وحى اليهم شياطين الجن والانس فى باريس من امثال قاسم امين فانتكس تفكيرهم بين معاهدها ومباذلها ، حين لم يعتصموا من دين الله بحبل متين ، ولم يأووا بهديه الى ركن شديد ، يذود عنهم كل شيطان مريد ، وذلك حين بعثوا الى تلك البلاد لينقلوا الينا الصالح النافع من علومها وصناعاتها فضلوا الطريق ، وعادوا الينا بغير الوجه الذى بعثوا به . جاء هؤلاء بعد ثلاثة عشر قرنا من نزول القرآن ليخرجوا للناس حقائق التنزيل التى غاب علمها عن الاولين والاخرين من الفقهاء والمفسرين ، ويضربوا باجماع المسلمين فى الاجيال المتعاقبة والقرون المتطاولة عرض الحائط . اليس ابتداع هذه الدعوة فى ظل الاحتلال الانجليزى وتزعم فريق من المتفرنجين الذين عرفوا بموالاة ذلك الاجنبى المحتل ، هو وحده دليلا كافيا على انها طارئة علينا من الغرب تقليدا لمذاهب اهله المبتدعين فى دينهم بأهوائهم واهواء رؤسائهم والخارجين على نصرانيتهم وكتابها . ؟

ولو تدبر الناس الامور وعقلوها ولم ينقادوا فى ذلك وراء شهواتهم ولم يسلموا زمامهم لما يزوره المضللون واصحاب الاهواء من زخرف القول لادركوا وجه الحق ، ولقادهم المنطق السليم النزيه الى الالتقاء بشرع الله ، واكتشاف ما تنطوى عليه اقوال الذين يتصدون للدفاع عما يزعمونه (حقوق المرأة) من أخطاء .

وأول أخطاء هؤلاء انهم يجعلون اكبر همهم مصروفا الى اثبات ان المرأة تستطيع القيام باعمال الرجل ، وانها انسان مثله لا فرق بين عقلها وعقله ، ويجهدون انفسهم فى حصر الامثلة التى تؤيد زعمهم ممن نبغ من النساء فى مختلف العصور . وليس هذا هو لب المشكل وصميمه ، ولا هو بالمقياس الصحيح فى تقدير المسألة ، ولكن لب المشكل وصميمه هو : هل يؤثر اشتغال المرأة بأعمال الرجال على اتقانها لعملها النسوى

الاصيل ؟ ثم ، ماذا يحدث لو انصرف كل النساء الى إعمال الرجال ؟ هل يتحتم على الرجال عند ذلك ان يقوموا هم بأعمال النساء ؟ واذا قبلوا ذلك فهل يصلحون له وهل يتقنونه ؟

من الواضح ان عمل الانثى الاول الذى لا يصلح له غيرها هو النسل وحفظ النوع ، لان تركيب الذكران العضوى لايسمح لهم بحمل الجنين ولا بإرضاعه . ومن الثابت ان ارهاق المرأة بالعمل يترك اثرا فى مزاجها وفى اعصابها ، ومن الثابت ايضا ان ذلك الاثر ينتقل الى جنينها فى حالة الحمل ، كما ينتقل الى طفلها فى حالة الرضاعة . بل ان بعض علماء الوراثة يتحدثون عن وراثة الصفات والاعراض الطارئة على الاب والأم كليهما فى اثناء العلوق والحمل . فالمرأة التى نيط بها حمل الجنين ، والسهر على امنه وسلامته فى بطنها ومن بعد ان يخرج الى الدنيا ، محتاجة لان تكفى مثونة التعرض للمهيجات العصبية والاجهاد العضلى او العقلى ، الذى تصل اثاره الى ربيبها جنينا ورضيعا ، وتترك فيه اسوأ الاثار . وذلك شىء يقضى به اوجب الواجبات واهمها ، وهو المحافظة على سلامة النوع البشرى . ثم انها محتاجة بعد ذلك الى ان توفر لها الفرصة الكاملة لملازمة طفلها ملازمة كاملة تسمح بأن يصنع على عينها جسما وعقلا وخلقا ، لكى تغرس فيه العادات الفاضلة ، وتجنبه ما قد يعرض له او يطرأ عليه من عادات قبيحة . ومثل ذلك لايتأتى بالامر او النهى مرة او مرات . ولكن لابد فيه من المراقبة الدائمة ، والاشراف على تكرار الفعل حتى يرسخ فى نفسه . واليقظة على الزجر مرة بعد مرات عن بعض الافعال الاخرى حتى يحال بينها وبين الرسوخ فى نفسه . وهذه المراقبة التى لاتغفل ، التى تتسم بالصبر الذى لايمل ، هى وحدها التى تسمح باكتشاف اعراض الداء فى البنين والبنات قبل ان يستفحل ويتعذر علاجه . والقول بأن كل صلة الام بولدها تنحصر فى الحمل والوضع هو نزول بالانسان الى مرتبة الحيوان . فالانسان يمتاز بطول حضانته لاطفاله . وهى حضانة ليست

غذائية فحسب كما هى فى سائر الحيوان ، ولكنها خلقية وعقلية ايضا فى الانسان ، وذلك من اهم الاسباب فى تقدم البشرية ، لانه يورث الجيل التالى تجارب الاجيال السابقة ، بما يمكنه من متابعة الشوط وتوفير الوقت والجهد الذى يضيع فى تكرار التجارب .

واعتماد المرأة العاملة على الخدم وعلى دور الحضانة فى رعاية وليدها لايؤدى الى كمال تنشئته ، لان الاخلاص له والحرص على ابتغاء الكمال من كل وجه لايتوافر فى احد توافره فى الأم ، لان من وراء اخلاصها وحرصها غريزة الأمومة . والحرص على الواجب فى الخدم وفى دور الحضانة لايمكن ان يرتفع الى مرتبة الغريزة مهما افترضنا فيه من السمو ، ومهما عملنا على ترقيته الى اقصى درجات الكمال ، ومهما تجاهلنا جنايات الخيانة والاهمال والافساد التى لا تحصى شواهدها فى واقع الحياة .

ولجوء الأم العاملة الى الوسائل الصناعية فى إرضاع طفلها خيانة للأمانة وتفريط فيها وتعطيل لسنة الله ، لان الله سبحانه لم يخلق ثدى الانثى لتبرزه فى السهرات وتكشف عن جماله وتنصبه شركا فى الطرقات ، ولكنه أوجده أصلا للإرضاع . والرضاعة مع ذلك ليست عملية عضوية آلية فحسب ، ولكنها حنان متبادل وميثاق غليظ . وليس لنا ان نتوقع بعد شيوع الرضاعة الصناعية إلا السعى لاختراع وسيلة للحمل الصناعى بعيدا عن بطن الأم - إن امكن - توفيرا لجهدها وصيانة لجمالها !

وقد كان أنصار تعليم المرأة فى أول هذا القرن يحتجون لدعوتهم بأن تعليم المرأة أعون لها فى حسن القيام على تربية أولادها ، فلما تعلمت المرأة نسوا ما كانوا يدعون إليه او تناسوه ، وراحوا يعملون على أن تكون المرأة صورة مكررة من الرجل . وصنيعهم هذا دليل على أنهم غير مخلصين فيما يدعون اليه ، وان لهم من وراء دعواتهم اهدافاً وغايات تخالف ظاهر اقوالهم .

ولو شئنا لقلنا بعد ذلك كله لأعداء المرأة وأعداء انفسهم ممن جرى عرف الصحف والكتاب فى هذه الايام على تسميتهم (انصار المرأة) : إن المرأة لاتصلح للكد وممارسة الاعمال العامة صلاحية الرجل . لانها بحكم تكوينها تحيض اسبوعا فى كل شهر ، وهى حالة تكاد تكون مرضا يخرجها عن مألوف عاداتها . وهى بعد ذلك ان حملت ظلت تعانى فى الشهور الاولى من حالات (الوحم) وما يلازمه من أسقام . ثم انها تعانى فى الشهور الاخيرة من ثقل الحمل الذى يقيد حركاتها حتى يكاد يشلها . فإذا لم تكن المرأة العاملة متزوجة كانت مشغولة بالبحث عن الزوج ، معرضة للزلل والتفريط عند كل بارقة من الامل فى الظفر به ، وهى لاتعدل عن ذلك ولا تنصرف عنه الا لعلة قد تكون شراً من البحث عن الزوج وأخطر .

وقد زعم أعداء المرأة المتسمين بأنصارها ان لزومها للمنزل انتقاص لحقوقها وقتل لشخصيتها واعتداء على كيانها . ومن قلب الاوضاع ان نسمى المصون المخدوم المكفى الحاجة سجينا حسب ما توهم صاحب (تحرير المرأة) كما يبدو من عنوان كتابه . وقد عاشت المرأة ما عاشت مكرمة معززة مدلله حاكمة على زوجها من خلف ستار ، ولم تحس يوما انها مهضومة الحق او انها مضطهدة او سجينة او مهدرة الكرامة والشخصية ، حتى ظهر ذلك النفر من الكتاب فأحل الصراع والتنازع بين الجنسين محل التواد والتراحم . ومن عجب أن الذين حملوا اللواء فى الدعوة الى مايسمونه (حقوق المرأة) كانوا من الرجال ولم يكونوا من النساء ، ولم يكن من وراء صنيعهم الا إفساد الحياة على المرأة والرجل كليهما . ذلك لان الحياة تحتاج الى طمأنينة توفر للناس السعادة والاستقرار ، وثورة النساء والرجال كل منهما على الاخر تحل القلق والبغضاء محل الطمأنينة والحب بين الجنسين اللذين اراد الله سبحانه وتعالى ان يجعل بينهما مودة ورحمة ينبنى عليهما عمران الكون وحفظ النوع البشرى . والمجتمع السليم يقوم على التواد والتراحم وعلى

إخلاص كل عضو فيه لوظيفته وقيامه بها راضيا لا يمل ولا يتذمر ، فهو كالجسم الذى ينصرف كل عضو فيه الى اداء عمله ووظيفته ، لو توقف احد اعضائه عن ادائها او تمرد عليها لاختل . فالله سبحانه وتعالى قد **« اعطى كل شىء خلقه ثم هدى »** . فهيأ كل فرد ، بل كل ذرة ، من نبات او حيوان او جماد ، لوظيفة معينة ، وركب فيه من الطبائع ما يناسبه ، وصرفه لأدائها . وعلى ذلك تقوم حياتنا الحديثة فى كل شؤونها وفى كل نواحى الصناعة والعلم فيها ، فهى تقوم على التخصص الدقيق الذى يتيح دقة المعرفة وحذق المرانة لكل عاكف على فرع بعينه . والتربية الحديثة تحاول ان تكتشف مواهب الأطفال والصبية لتوجه كلا منهم فيما يلائم استعداده وتكوينه . فلماذا نطبق هذين المبدئين ـ التخصص والعمل المناسب ـ فى كل شىء ، ونأبى تطبيقهما فى الرجل والمرأة ؟

والرجل الذى يكد ويجهد نفسه ويرهقها فى العمل خارج البيت محتاج الى زوجة متزينة متعطرة ناعمة البال يأنس بها ويسكن اليها مما يجده من عناء ، وتسرى عنه بعض ما يعتريه من السأم والإجهاد ، وما يترك عنف التعامل مع الناس فى نفسه من آثار الضيق والملل . وكدح المرأة فى ميادين الاعمال العامة يصرفها عن رعاية الزوج والولد كليهما لاشك فى ذلك ، لانها تعود الى البيت مكدودة مرهقة كالرجل ، فأيهما هو الذى يسرى عن الآخر ؟ وأيهما هو الذى سيتسع صدره لمداعبة البنين واحتمال ما لابد ان يحتمل فى تربيتهم من ضجيج مرحهم وأنين ألمهم وصراخ أوجاعهم ؟ وهل تصبح الحياة عند ذلك إلا عناء وشقاء للمرأة وللرجل كليهما ؟ وهل يصبح الفرد ـ رجلا كان او امرأة أو طفلا ـ الا (ترساً) من (تروس) آلة صماء فى حياة لا سكن فيها ولا قرار .

ويستطيع كل ذى لب وبصيرة ان يدرك آثار الفشل الذى حاق بتجارب المجتمع الأوروبى والأمريكى فى هذه الناحية . مع ان هذ

الاثار لم تبلغ بعد منتهى مداها ، ولا تزال سائر عقابيلها فى الطريق . فهذا الجيل الغربى من التائهين والضائعين المحطمى الاعصاب المبلبلى الافكار القلقى النفوس ، وهذه النسبة الآخذة فى الارتفاع - حسب إحصاء الغربيين أنفسهم - للانحراف والشذوذ بكل ضروبه وألوانه ، هذه الظواهر والآثار كلها هى من آثار التجربة التى خاضها الغرب فى المرأة ، لأن هؤلاء جميعا هم ابناء العاملات والموظفات الذين عانوا من إرهاق امهاتهم وهم فى بطونهن ، ثم تعرضوا لإهمالهن بعد ان وضعنهم . وماذا يبتغى الناس من تجربة فاشلة كهذه ؟ الا يتدبرون ؟!

وللمفسدين والمخدوعين ممن يسمون (أنصار المرأة) حجج ومزاعم اكثرها مبنى على المغالطة . واشهر مغالطاتهم فى ذلك ما يزعمونه من ان عكوف المرأة على منزلها فيه تعطيل لنصف المجتمع . وقولهم هذا مبنى على ان المرأة ليس لها عمل فى المنزل . والواقع ان وظيفتها فى تدبير شؤون البيت ورعاية الزوج والولد وقضاء حاجاتهم المتنوعة تستغرق كل وقتها لو اديت على وجهها ، بل ان وقتها يضيق بها فى بعض الاحيان . والدليل الذى يخرس كل لسان على صدق ما نقول هو ان العاملات تحتجن دائما الى توظيف الخدم من النساء والرجال لسد النقص الناتج عن تخليهن عن وظيفتهن . فأى شىء تكسبه الدولة اذا كانت المرأة تخرج للعمل وتربط مكانها شخصا او شخصين تعطلهما عن العمل ؟ اين هو الكسب الاقتصادى المزعوم ؟ وهل هذا الا الخلل عينه ؟ تشتغل المرأة خارج البيت باعمال الرجل ، ويسقط من حساب الدارسين والمشرعين جيل مضيع لايقام لضياعه وزن فى ميزان المكسب والخسارة ؟! ولو صح ان الاستفادة بنصف المجتمع المعطل هى الدافع الحقيقى الى توظيف المرأة لوجب ان يستوعب العمل كل المتعطلين من الرجال قبل ان يسمح لامرأة واحدة بتولى عمل من الأعمال العامة .

ومن مغالطاتهم كذلك انهم يتصيدون الامثلة لمن نبغن من المسلمات فى بعض فروع العلم او شاركن فى القتال ، ليقيموا بهن الدليل على

[illegible] والواقع ان للمرأة حقا غير منكور فى طلب العلم ان كان فيها استعداد له ، ولم ينكر احد ان هناك بعض الوظائف التى تلائمها كتدريس البنات وتطبيب النساء ، ولم ينكر احد حق المرأة فى السعى الشريف للرزق ان دعتها الى ذلك ضرورة . والاسلام سمح ، قد اباح للضرورة اشياء كثيرة ، حتى الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهِلَّ به لغير الله ، فرفع الاثم فيها عن المضطر فى اكثر من موضع من القرآن الكريم (البقرة ١٧٣ ، المائدة ٣ ، الانعام ١٤٥ ، النحل ١١٥) بل لقد رفع الاثم عمن اكره على الكفر وقلبه مطمئن بالأيمان (النحل ١٠٦) . واشتراك المرأة فى القتال هو من باب الاستثناء الذى تدعو اليه الضرورة ، وهو فى حدود الاعمال التى تلائم المرأة كالتمريض خلف صفوف القتال . ومصدر الخطأ والخلط فى ذلك كله ناشىء عن وضع الاستثناء والشذوذ موضع القاعدة والاصل . واتخاذ اعمال الافراد حجة على الشرع نفسه .

ومن مغالطاتهم التى ابتدعها قاسم امين وتابعه فيها كثير من الناس انهم يقولون : ان بين النساء نابغات وبينهن عانسات وبينهن من فقدت الزوج والعائل . فلماذا لايشارك هؤلاء فى الاعمال العامة فى الحياة ؟ وليس كل ما يقولونه الا أعذارا وحيلا تنتحل لفتح الباب تمهيدا للزحف . ان الذى يسمح لقدمه ان تنزلق خطوة واحدة فى اول الطريق لايدرى الى أين تسوقه قدماه والى اين ينتهى به المسير . ان مدمن الخمر قد سمح لنفسه اولا بمجالسة الشاربين ، ثم سمح لنفسه بان يشاركهم النقل ، ثم تدرج من ذلك الى مشاركتهم فى قليل من الشرب لا يبلغ به حد الخلط وفقدان الاحساس ، ولم يزل يخطو فى كل مرة خطوة من بعد خطوة حتى اصبح مدمنا . وكذلك الشأن فى المرأة وفى كل أمر ، ومنح صنف من النساء حق الاشتغال بالاعمال العامة هو الانزلاق فى اول الطريق الذى يجر الى السماح لسائر النساء بهذا الحق كما اثبتت التجربة . لذلك كان علينا ان نضع للأشياء حدودا لانسمح لانفسنا

بتخطيها . لان المسألة فى لبها وفى صميمها هى : ما هى وظيفه المراة ؟ ولان التشريع انما يوضع دائما للأعم الأغلب ثم ينفذ على الناس بلا استثناء .

ومن مغالطاتهم كذلك انهم يعتذرون بان نزول المرأة الى ميدان الأعمال العامة قد اصبح امرا واقعا وقاعدة مقررة . وينبغى لهم ان يعرفوا أن الحق واحد لا يتغير . ومهما يتقادم العهد على الباطل فسيظل باطلا . ومهما يجر العمل على غير الحق فسيظل الحق هو هو وان حاد عنه كل الناس . ثم انه لا يبقى على توالى الازمان الا الحق . لأن الباطل زهوق لاتدوم له دولة . والحق هو الناموس . هو قانون الله الذى لايتبدل ، هو فطرة الله التى فطر عليها الخلق . هو ما ركبه الله سبحانه فى طبائع الأشياء حين أعطى كل شىء خلقه ثم هدى ، وناموس الله ثابت لايتبدل ﴿ ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾ . ولكن الذى يحول ويزول هو المعاند لسنة الله وفطرته . والذى يعارض الناموس ويخرج على الفطرة كالوعل الاحمق الذى وصفه الاعشى قديما حين قال :

كناطح صخرة يوما ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

ان الارض لا تستطيع ان تخرج على مارسم لها من مدار ، والليل لايسبق النهار ، وكل كوكب يدور فى فلكه ، وكل كائن يسير فيما رسم له من منهج ومن طريق . والفطرة التى فطر الله عليها كل واحد من خلقه فاعطاه خلقا خاصا وأقامه فيما اراد ، هى جزء من الناموس . وهى بعض ارادة الله سبحانه . والأمانة التى يحملها كل واحد من خلق الله هى ان يبذل قصارى جهده فى اداء الوظيفة التى اقامه الله فيها . وليس من شىء فى خلق الله الا هو منقاد لارادة الله سبحانه وتعالى مسلم لها ، يسبح خالقه بأداء الدور الذى رسم له فى استسلام لارادته ، تجد ذلك فى النحل وفى النمل وفى الحيوان كله وفى النبات بضروبه والدواب بانواعها ، وفى الكواكب والأجرام وفى مختلف

الظواهر . ولا يشذ عن ذلك إلا الانسان الذى ميزه الله عن سائر خلقه بالعقل ، فحمل بذلك امانه لايحملها احد من سائر خلقه ، فهو ان استخدم هذا العقل فى طاعة الله بلغ به عمله حدا لا يبلغه شيء من خلق الله ، وان شرد به عقله فى غير سبيل الله ضل وهوى الى قرار سحيق . والله سبحانه هو المسؤول ان يهدينا الى اقوم طريق .

الفهرس

الصفحة